

الكنيسة الكليركية بالأنباروليس
تقدم

الملكالم اسراجوم

نبافة الأنبا سنوده

من محاضرات



صاحب القداسة والغبطة البابا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

فهرست

صفحة	الموضوع
٥	١ - الهنا المحب المرفوض
٢٣	٢ - كلمات المسيح على الصليب
٢٤	مقدمة
٢٩	يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون
٤٠	اليوم تكون معى فى الفردوس
٥٥	هذا ابنك ... هذه أمك
٦٠	الهى الهى لماذا تركتنى
٦٧	أنا عطشان
٧٠	قد أكمل
٧٤	فى يدك استودع روحى
٧٧	فاعلية هذه الكلمات فى حياتنا

- ١ -

إهنا المحبّ الرزوق

« رفضوني أنا الحبيب مثل الميت المرذول »
(مز ٣٧ : ٢)

الرؤساء اضطهدوني بلا سبب
(مز ١١٩ : ١٦١)

أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب
(مز ٦٩ : ٤)

رجل أوجاع ومختبر الحزن

ان آلام السيد المسيح لم تكن قاصرة على الصليب ،
ولا على الآلام السابقة للصليب مثل الجلد والضرب والبصاق
والاهانة والاستهزاء وحمل الصليب وعبارات التحدى الجارحة
وشهادات الزور . . . فقد لخص الكتاب حياة الرب بالجسد
فى تلك العبارة العميقة المملوءة بالمعانى وهى وصفه بأنه
« رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

ان كل هذا يعطينا فكرة عن اخلاق الناس وموقفهم من
الله ، وعن الفرق الكبير بين معاملتهم له ومعاملته لهم . . .

ان السيد المسيح جاء الى العالم من فرط محبته للناس ،
وعاش محبا لهم وباذلا وشفوقا . ومع ذلك كان مرفوضا
منهم « الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١)
كان نورا للعالم . وهذا « النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة
لم تدركه » (يو ١ : ٥) . « وأحب الناس الظلمة أكثر
من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣ : ١٩) .

قيل عن المسيح الهنا الحنون انه لم يجد موضعا يسند
فيه رأسه (متى ٨ : ٢٠) ، ليس فقط من جهة الجسد ،

وانما أيضا من جهة المحبة ومعاملة الناس • لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس • لقد عاش وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين للجميل ، ناكرين للحب ، لا يعاملونه كما يعاملهم •••

انه درس لنا حتى لا نتضايق اذا قوبلنا فى الحياة بأشخاص جاحدين أو خائنين أو ناكرين للجميل ••• وان أحببنا الناس من كل القلب ، ولم يبادلونا حبا بحب ، فلا يصح أن نتضايق ، فهكذا كان المسيح ••• أحب الناس حتى المنتهى ، أما هم فأحبوا الظلمة أكثر من النور ••• بل أكثر من هذا يقول عنه أشعيا النبى انه كان « محتقرا ومخذولا من الناس » (أش ٥٣ : ٣) • ويقول عنه داود النبى « عار عند البشر ومحتقر الشعب » (مز ٢٢ : ٦)

ذهب الى مدينته ، فرفضوا أن يؤمنوا به ، وهزأوا قائلين « أليس هذا هو ابن النجار ••• من أين لهذا هذه الحكمة والقوات !! » فكانوا يعشرون به (متى ١٣ : ٥٤ - ٥٨) ••• حتى قال لهم الرب « ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته » ••• وذهب مرة الى احدى قرى السامرة ، فأغلقوا أبوابهم فى وجهه « ولم يقبلوه » (لو ٩ : ٥٣) • وكان الأمر مهينا لدرجة أن تلاميذه اقترحوا أن ينزل نارا من السماء فتفنى هؤلاء الرافضين • أما الرب فقابل رفض كل هؤلاء بحب • وظل يسعى وراءهم حتى كسبهم أخيرا له •

**ان كسب محبة الناس تحتاج منا الى صبر والى بال
طويل . لا تظن انك ستكسب محبة الناس بسهولة ، فأحيانا
تكون قلوبهم صلبة وشديدة ولا يمكن دخولها بسرعة . فان
تعبت فى دخول قلوب الناس ، فاصبر ولا تتضايق . وان
دخلت قلوبهم وطردهوك منها ، فلا تتضايق أيضا . وان
دخلت قلوبهم ولم تجد فيها محبة مثل محبتك ، فلا تتبرم
ولا تحزن . تعجبني كلمة جميلة قالها لى أحد الآباء
الرهبان وهى :**

**« عملنا هو أن نحب الناس ، دون أن ننتظر محبتهم
لنا » .**

حدث هذا مع الله منذ البدء كان يحب الناس ،
وهم ينكرونه ، ويكسرون وصاياه ، ولا يعترفون بوجوده .
ولكن شر الناس لم يستطع أن يبطل بر الله ولا محبته ،
ولم يعامل الناس كما يعاملونه . بل ما أجمل قول المزمور
« لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا »
(مز ١٠٣ : ١٠) وهكذا فانه « يشرق شمسك على الأشرار
والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥) .
لا يعاملنا مطلقا بنفس المعاملة

**وهكذا عاش المسيح وسط الناس . . . « يجول يصنع
خيرا » (أع ١٠ : ٣٨) « يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى
كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (متى ٤ : ٢٣) . من**

من الناس لم يأخذ من محبة المسيح؟! الكل أخذوا ...
حتى الذين رفضوه ... حتى الذين صاحوا قائلين « اصلبه
اصلبه » ...

**لو كان الرب قاسيا ، لكان لنا عذر في تركه . أما والهنا
طيب وحنون ، لذلك نحن هلامون في جسد محبته .**

لو كان السيد المسيح عنيفا كاييليا الذي قال « تنزل نار
من السماء وتأكل الخمسين » فنزلت وأكلتهم (٢ مل ١ :
٢ - ١٢) لو قال كاييليا « لا يكون مطر ولا ظل على الأرض
الا عند قولي » (١ مل ١٧ : ١) لو كان جبارا عنيفا
من هذا النوع ، ربما كان البعض يخافه ويرتعش منه ...
أما المسيح الطيب ، فكان على عكس ذلك كله « وديعا
ومتواضع القلب » (متى ١١ : ٢٩) « قصبة مرضوضة
لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (متى ١٢ : ٢٠) .

كان نصيرا للضعفاء ، عطوفا على المرذولين والمنبوذين ..

يرى أن السامرة بلدة مكروهة وخاطئة ، فيذهب الى
هناك . يرفضونه ، فيذهب اليهم مرة أخرى ... يقال ان
السامريين هم شعب منبوذ لا يعامله اليهود ، فيضرب لهم
مثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٣٠-٣٧) ويريهم كيف أن
السامري يمكن أن يكون أفضل من الكاهن واللاوي ، أحن
قلبا ، وأكثر رافة ...

يرى أن العشارين محتقرين من الناس ، فيحضر ولائمهم ،
ويدعو متى العشار ويجعله واحداً من الاثنى عشر (متى ٩ :
٩) • ويرى زكا رئيس العشارين متسلقا على شجرة ،
فيترك كل الناس ، ويقف منتظرا زكا ، ويقول له « ينبغي
أن أمكت اليوم في بيتك ••• اليوم حصل خلاص لهذا
البيت ، اذ هو أيضا ابن لابراهيم » (لو ١٩ : ٥ ، ٩) •

**على ان الناس القساة لم يمجدوا الرب في محبته ، بل
على العكس انتقدوه وتدمروا عليه قائلين « انه دخل لبيت
عند رجل خاطيء » (لو ١٩ : ٧) • وظل السيد المسيح
على محبته لهؤلاء الخطاة على الرغم من تدمير الفريسيين
المتكبرين • بل ضرب لهم مثلا أظهر فيه كيف أن العشار
كان أفضل من الفريسي ، العشار في توبته وانسحاقه ،
كان أفضل من الفريسي في تباهيه وانتفاخه •
(لو ١٨ : ٩ - ١٤)**

**وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التي بلات قدميه
بدموعها ، غير مبال بانتقاد سمعان الفريسي الذي شك فيه
قائلا في قلبه « لو كان هذا الانسان نبيا ، لعلم من هذه
المرأة وما حالها ، انها لخطئة » (لو ٧ : ٣٩) • بل على
العكس شرح لذلك الفريسي ان تلك المرأة كانت أفضل منه
في محبتها وفي توبتها ، وانها - هي والفريسي - مديونان
معا ، وليس لهما ما يوفيان ••• والله قد سامحهما معا •••**

وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب أشفق على المرأة
الزانية التي ضبطت في ذات الفعل ، ونجاها من الذين
يريدون رجمها ، وقال لها « أين هم المشتكون عليك ؟ أما
دانك أحد ... ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي أيضا » .
(يو ٨ : ١١)

**ما أعجب هذه الطيبة ، وهذا العطف ، وما أعجب
هذا القلب القدوس الكامل الذى يظهر حنانه على خاطئة
ضبطت في ذات الفعل !! حقا ليس لك شبيهه يا رب بين
الالهة ...**

فبماذا قوبل الرب فى كل حنوه وفى كل محبته ؟

لقد قوبل بالشتائم واللعنات ، وبالاضطهادات المريرة
وعاش رجل أوجاع ومختبر الحزن



قالوا له « أليس حسنا قلنا انك سامرى وبك شيطان »
(يو ٨ : ٤٨) . يا للعجب أن يقال عن رب المجد ان به
شيطانا . الله الذى يخرج الشياطين ويطردهم ، يقولون
له « بك شيطان !! ويظن المجدفون بهذا أنهم «حسنا قالوا» .
لذلك لا تتعب يا أخى ان قيلت عنك كلمة رديئة ربما تكون
أقل من هذه ، فالمسيح نفسه قيل له « انك سامرى وبك
شيطان » !! والعجيب أن الرب سمع هذه الاهانة ورد بهدوء

عجيب وبدون انفعال ... ما هذا يا رب؟! قل أن تنزل
نار من السماء وتفنيهم • هذا جنس لا تنفع معه الطيبة •
اضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يجيب : ليس
هذا هو أسلوبى ... سأتركهم الآن فى حديثهم ، وبعد حين
سيعقلون ويتوبون ، وينظرون الى الذى طعنوه وجرحوه ،
ويندمون ...

ما أكثر ما احتمل ...

**بل ان كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون ان
يفطوا مجدها بشتماتهم ... وباتهاماتهم •**

كان يخرج الشياطين من المصروعين ، فيقولون
« ببعازبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (متى ١٢ :
٢٤) !! كما لو كان الرب من جنده الشيطان !!

ويفتح الرب عينى المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث
لها مثيل من قبل • فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون ،
نراهم يقولون عن المسيح « هذا الانسان ليس من الله » •
ويقابلون الأعمى الذى أبصر ، ويضغطون عليه قائلين « اعط
مجداً لله • نحن نعلم أن هذا الانسان خاطيء ... » (يو ٩ :
١٦ ، ٢٤) • فلما دافع الأعمى المبصر عن المسيح « شتموه
قائلين أنت تلميذ ذلك » ، كما لو كانت التلمذه للمسيح تهمة
وعارا •

يا للعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ،
وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين • ويوصف بأنه خاطيء
وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار ••• وماذا أيضا

- قالوا عنه أيضا انه كاسر للسجبت (يو ٩ : ١٦)
- وقالوا انه « أكول وشريب خمر » (لو ٧ : ٢٤)
- وقالوا انه « محب للعشارين والخطاة » (متى ١١ : ١٩)

وماذا قالوا عنه أيضا ؟

قالوا عنه أيضا انه « مجدف » ، « يتكلم بتجاديف »

(متى ٩ : ٣) رفعوا حجارة ليرجموه (يو ٨ : ٥٩) محاولين
رجمه أكثر من مرة (يو ١٠ : ٣١) • وعللوا محاولتهم لرجمه
بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل
تجديف » (يو ١٠ : ٣٣) • وعندما حكم عليه رئيس الكهنة
بحكم الموت ، كان لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف !!
مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلا « قد جدف • ما حاجتنا بعد
الى شهود ، قد سمعتم تجديفه » (متى ٢٦ : ٦٥) • انه
مذهل حقا أن رئيس الايمان ومكمله ، والمعلم الصالح المذخرة
فيه كل كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفا !! وهو « حكمة
الله وقوة الله » (١ كو ١ : ٢٤) •••

واتهموه أيضا بتهم سياسية ، فقالوا انه ضد قيصر

واتهموه أيضا بأنه « يهيج الشعب » وبأنه « يفسد الأمة »
(لو ٢٣ : ٥ ، ٢)

هؤلاء الذين أرادوا المسيح ملكا عليهم يخلصهم من حكم
قيصر ، بل أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكا (يو ٦ : ١٥) ،
هؤلاء لما رفض المسيح الملك ، لأن مملكته ليست من هذا
العالم (يو ١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية في قلوب
الناس وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر
« وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : اننا وجدنا هذا يفسد
الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلا انه هو المسيح
ملك » (لو ٢٣ : ٢) !! يا للعجب ، يقولون هذه التهمة
ولا يخجلون من عبارته المشهورة « اعطوا ما لقيصر لقيصر
وما لله لله » (مر ١٢ : ١٧) . . . واذا بهؤلاء الثائرين على
قيصر ، الطالبين ملكا يخلصهم منه ، يتمسحون الآن فيه ،
متعلقين اياه في صفر نفس ، بالدس والوقية ، مقدمين
المسيح كمتهم بهذه التهمة !! وصمت المسيح لأنه « حمل
خطايانا » . . .

عجبا أن هؤلاء الخائنين الجاحدين ، يدافعون الآن عن قيصر
الذي أذلهم ، ويلتمسون رضا ذلك الذي خلط دمهم بذبائحهم
(لو ١٣ : ١) !! ويرفضون أن يدعى المسيح « ملك اليهود »
كما كتب بيلاطس (يو ١٩ : ٢١) . ويصرخون قائلين
« ليس لنا ملك الا قيصر » !! (يو ١٩ : ١٥) . . .

ولم يكتفوا بتهمة التجديف ، وبالتهمة السياسية ، بل
أيضا . . .

قالوا انه مضل ، حتى بعد موته على الصليب ، لأجلهم !
ولأجل العالم كله . فذهبوا الى بيلاطس وقالوا له « ياسيد
قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حيا نبي بعد ثلاثة أيام
أقوم . فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا ياتي تلاميذه
ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات . فتكون
الضلالة الأخيرة أشد من الأولى » (متى ٢٧ : ٦٣ ، ٦٤) .
وهكذا وصفوه بأنه مضل ، وان تلاميذه أيضا سيقودون
الشعب الى ضلالة أشد

هذا هو المسيح الذى عاش محتقرا ومخذولا من الناس ،
الذى أحصى مع الأثمة (أش ٥٣ : ١٢) .

حقا ان السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه . حتى
تعجب من ذلك وقال « ابغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤)
« رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول » .

ومن هو هذا الذى رفضوه !؟

هذا الذى « كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شئ مما
كان » (يو ١ : ٣) . هذا المحب الذى سفك دمه عنهم ،
الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن الخراف (يو ١٠ : ١٠)
المسيح الطيب الحنون ، الرفيق الشفيق ، الهادى
الوديع ، الذى « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى
الشوارع صوته » (متى ١٢ : ١٩) .

اعدائؤه رفضوه ، وأحباؤه تركوه وحده

وتركوه وحده

نغض النظر عن يهوذا الذي أكل خبزه ورفع عليه عقبه
(مز ٤١ : ٩) • وتكلم عن باقى أحبائه الذين تركوه
وحده ••• هؤلاء الذين تحقق فيهم قوله « هوذا تأتى ساعة
- وقد أتت الآن - تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته ،
وتتركوننى وحدى ••• » (يو ١٦ : ٣٢) • من كان يظن
أن الأحد عشر القديسين يتركونه أيضا وحده !! ولكن هذا
هو الذى حدث فى **بستان جسيمانى** ، فى أشد أوقاته صراعا
عنا ، تركه أعمدة تلاميذه ، أعنى الثلاثة الكبار بطرس
ويعقوب ويوحنا • هؤلاء الذين قال لهم « امكثوا ههنا
واسهروا معى » (متى ٢٦ : ٣٨) • فناموا وتركوه ، ومع
أنه عاتبهم أكثر من مرة قائلا « أما قدرتم أن تسهروا معى
ساعة واحدة » الا أنه حتى فى تلك الساعة الحرجة « كانت
أعينهم ثقيلة » (متى ٢٦ : ٤٣)

وعندما قبض عليه نقرأ فى الانجيل عبارة مؤلمة يقول
فيها الوحي « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » •

(متى ٢٦ : ٥٦)

وهكذا ضرب الراعى فتبددت الرعية (مر ١٤ : ٢٧)
واستطاع الشيطان أن يغربلهم كالحنطة كما سبق المسيح
فقال لهم (لو ٢٢ : ٣١) ولكن هؤلاء الذين هربوا وتركوه ،
لم يتركهم المسيح أيضا ، فقال لبطرس « طلبت من أجلك
لئلا يفنى ايمانك » (لو ٢٢ : ٣١) •

ولم يفضب المسيح او يحزن بسبب ان تلاميذه تركوه

وهربوا • بل هو أيضا أراد لهم أن يمضوا حفظا على سلامتهم لكي لا يصيبهم ضرر وقتذاك بسببه • فليفعل الأعداء به ما يشاءون ، أما تلاميذه فليظلوا سالمين ، وهكذا قال للجنود الذين أنوا للقبض عليه : أنا هو • فان كنتم تطلبونني ، دعوا هؤلاء يذهبون • ليتم القول الذي قاله ان الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحدا (يو ١٨ : ٨ ، ٩) •

وعندما وقف المسيح للمحاكمة ، لم يقف معه أحد •••

لم يدافع عنه أحد ، وهو الذي دافع عن أشد الخطاة ••• لم يوجد شجاع واحد يقول فيه كلمة حق ، ولم يوجد شجاع واحد يحتج على شهادات الزور ••• وقبل المسيح هذا الظلم ولم يدافع عن نفسه ، وفي فمه نبوءة اشعياء النبي عنه « قد دسنت المعصرة وحدي ، ومن الشعوب لم يكن معي أحد » • (أش ٦٣ : ٣)

والمؤمن ان تلاميذه لم يتركوه فحسب ، بل قال عنهم :

كلكم تشكون في هذه الليلة (مر ١٤ : ٢٧) •

ما أقسى على القلب المحب أن يشك فيه محبوبه ، ومحبوه كماهم ، وأن يجرح في بيت أحبائه (زك ١٣ : ٦) ما أقسى هذا من يستطيع أن يحتمل مثل هذا •••

على أنهم لم يشكوا فيه في تلك الليلة وحدها ، بل بعد

القيامة أيضا . فلما بشرتهم مريم المجدلية أنه قام ، « ولما سمعوا انه حتى وقد نظرته ، لم يصدقوا » (مر ١٦ : ١١) . ولما ظهر لتلميذى عمواس ، وذهب هذان وأخبرا الرسل « لم يصدقوا ولا هذين » (مر ١٦ : ١٣) . ولما سمعوا نفس البشارة من النسوة القديسات « تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن » (لو ٢٤ : ١١) . بل لما ظهر لهم الرب نفسه لم يصدقوا « وجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا » (لو ٢٤ : ٣٧) .

ووصلت الشكوك أيضا الى مريم المجدلية المحبوبة التي ظهر لها أولا وكلمها وعهد اليها بتبشير اخوته، فعادت ونادت بنفس الشائعة التي نشرها كهنة اليهود ، وقالت للملاكين ولارسل « أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه » (يو ٢٠ : ١٣ ، ٢) . بل قالت ذلك للمسيح نفسه عندما ظنته البسمتاني ... وكانت عبارة مؤلمة لقلبه المحب ...

أشد الآلام فى الحب ، هى شكوك المحبوب ... وقد جاز المسيح هذا الألم أيضا ... وتألّم ليس لأجل نفسه اذ شكوا فيه وفى قيامته ، وانما تألم بالحرى لأجلهم لأن الشك يهلكهم ...

وهكذا فى الوحدة أيضا ، لم يتألّم من أجل نفسه ، وانما من أجل أحبائه . ان تركهم له لا يؤذيه هو ، وانما

يتسبب فى هلاكهم هم • أما عن نفسه فقد قال « ولكنى
لست وحدى لأن الآب معى » •••

وبهذا نجد لونا آخر من آلام المسيح على الأرض وهى
آلامه بسبب الخطية وانتشارها على الأرض واهلاكها للناس ••
ولهذا « لما رأى الجموع تحزن عليهم ، اذ كانوا منزعين
ومنطرحين كغنم لا راعى لها » (متى ٩ : ٣) • وبهذا القلب
بكى على أورشليم لأنها لا تعرف ما هو لسلامها • وفى ذلك
يقول القديس لوقا الانجيلي « وفيما هو يقترب نظر الى المدينة
وبكى عليها قائلاً » ••• ولا يتركون فيك حجرا على حجر ،
لأنك لم تعرفى زمان افتقارك » (لو ١٩ : ٤١ - ٤٤) •

**اننا نقف منذهلين أمام دموع الرب ، يعقد الصمت
لساننا • أى حب هذا ، فى قلب الله نحو الخطاة ••• ما هذه
العاطفة العجيبة التى تعصر العينين فتتهطلان دمعاً ••• كل
دمعة من هذه ، هى أعلى من الكون كله ، بكل مجده •••**

مشويا بالنار :

ان آلام السيد المسيح شبهت بالنار ، لذلك قيل عن
خروف الفصح الذى يرمز الى ذبيحة السيد المسيح انه يكون
« مشويا بالنار » (خر ١٢ : ٨) • هذه النار هنا هى آلام
الصليب •••

ولكن لما كانت آلام المسيح ليست قاصرة على الصليب
فحسب ، وانما له آلام أخرى فى حياته بالجسد لذلك نرى
عبارة (مشويا بالنار) تقال عن تقدمة الدقيق التى ترمز الى
تجسد الرب • وفى ذلك قال الرب لموسى النبى فى سفر
اللاويين « وان قربت تقدمة باكورات للرب ، ففريكا مشويا
بالنار » (لا ٢ : ١٤)

ان الرب شبه نفسه بحبة حنطة • وقال ان لم تقع حبة
الحنطة فى الأرض وتمت ، فهى تبقى وحدها • ولكن ان ماتت
تأتى بشمر كثير » (يو ١٢ : ٢٤) • أما هنا فحبة الحنطة
مشوية بالنار •• انها آلام هذا الزمان الحاضر ، التى اجتازها
الرب عنا • لقد كان « مشويا بالنار » على الأرض ، كما كان
« مشويا بالنار » على الصليب •••



من الحان . نارادابسون



أخطأت أُمي وأصغت لنداها
قطفت أُمي حراما من جناها
أنا من شرد في الشر وتاها
أنا ابن الأرض أصلي من ثراها
عبدك الآثم من يعصى الاله
وأنا الخاطيء حر أتباهي
وحنان قد تسامى وتناهى

أنت لم تنصت الى الحية بل
أنت لم تقطف من الجنة بل
أنت قدوس طهور بينما
أنت عمال في سماء انما
أنت رب واله وأنا
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

عجبا يا رب ماذا قد جرى
عشت يا مولاي حينما بينهم
كنت يا قدوس قلبا مشفقا
كنت رجلا لكسيح ويذا
قد أقيمت الميت والأعمى رأى
فلماذا قامت الدنيا على
ولماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

وعلام كرههم فيك علما
تنزع البغضاء منهم والخصاما
فملأت الكون حبا وسلاما
لأشمل وأبا بين اليتامى
والطريح المقعد اشتد وقاما
شخصك الحانى وزادت فى أذاها
وأنا الخاطيء حر أتباهى
وحنان قد تسامى وتناهى



أنا أولى منك بالصلب أنا
أنا من ضيع ويحي يومه
أنا من يسعى الى الموت وفى
أنا ظمآن تولى مسرعا
أيها المصلوب يا من قد رأى
كلما طافت بك العين انزوت
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

صاحب العار الذى لوث نفسه
فى ضلال مثلما ضيع أمسه
نشوة أو سكرة يحفر رسمه
يرتجى الحية أن تملأ كأسه
كل من فى العالم الناكر قدسه
نفسى الخجلى يغطيها بكها
وأنا الخاطيء حر أتباهى
وحنان قد تسامى وتناهى

+ + +

- ٢ -

كلمات المسيح على الصليب

- ١ - يا ابتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون
- ٢ - اليوم تكون معى فى الفردوس
- ٣ - هوذا ابنك ... هوذا أمك
- ٤ - الهى الهى لماذا تركتنى
- ٥ - أنا عطشان
- ٦ - قد أكمل
- ٧ - يا ابتاه ، فى يدك استودع روحى

مقدمة

انها سبع كلمات ، لفظ بها الرب على الصليب ، فى
آلامه . . . وكانت كلها حياة . . . لنا

**لم يتكلم أثناء المحاكمات ، ولا أثناء التعذيب والاستهزاء
الا نادرا . كان يغلب عليه الصمت . . . لقد تنازل عن حقه
الخاص ، وكرامته الخاصة . « فالمحبة لا تطلب ما لنفسها »
(١ كو ١٣ : ٥)**

أما على الصليب ، فتكلم ، حين وجب الكلام . تكلم من
أجاننا ، لنفعلنا وخلصنا . وكان لكل كلمة هدف ومعنى .
ولكل كلمة تأثير . . . وسندخل فى أعماق كل هذا بعد حين . . .
على أننا نلاحظ على كلماته بوجه عام عدة ملاحظات ، منها:

**نلاحظ فى كلمات المسيح على الصليب عنصر العطاء . . .
عجيب أنه - وهو على الصليب - فى مظهر الضعف والانهازم
كان يعطى . . . أعطى لصالبية المغفرة ، وأعطى للص اليمين
الفردوس ، وأعطى للعدراء ابنا روحيا ورعاية واهتماما ،
وأعطى ليوحنا الحبيب بركة العدراء فى بيته . . . وأعطى
للآب ثمن العدل الالهى الذى يتطلبه ، وأعطى للبشرية كفارة**

وفداءا . . . وأعطانا أيضا اطمئنانا على تمام عمل الخلاص . . .
أعطى لكل أحد ، وهو الذى لم يعطه أحد شيئا . . . قدم
للبشر كل هذا ، فى الوقت الذى لم يقدموا له فيه سوى
مرارة وخل . . .

وكلمات المسيح السبع ، كان أولها وآخرها موجها الى
الآب . كانت أول كلمة موجهة الى الآب فى قوله « يا أبتاه ،
اغفر لهم » . وآخر كلمة موجهة الى الله الآب فى قوله « يا أبتاه
فى يدك استودع روحى » . وبين الأول والآخر كانت هناك
كلمتان أيضا موجهتين الى الله الآب : احدهما « الهى الهى
لماذا تركتني » . والثانية « قد أكمل » . ومع انها قد تكون
اعلانا عاما ، الا أنها تحمل خطابا الى الآب أى « العمل الذى
أعطيتنى لأعمله قد أكملته » . . .

غالبية كلمات المسيح اذن أو نصفها ، كانت موجهة الى
الآب . وكانت تحمل طمأنينة للبشر .

ونلاحظ أنه فى كلامه مع الآب استعمل التعبيرين :
« يا أبتاه » و « الهى » : فى عبارة « يا أبتاه » رد على الذين
كانوا يتحدثونه قائلين « ان كنت ابن الله . . . انزل من على
الصليب » . فأثبت انه ابن الله . ولكنه لم ينزل من على
الصليب ، وانما رفع الصليب الى علو السماء . . .

فى عبارة يا أبتاه أثبت لاهوته ، وفى عبارة « الهى »
أثبت ناسوته . ومن كليهما معا أعلن أنه الاله المتأنس ،

الله الذى ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) . فى عبارة « يا أبتاه » شجب الهرطقة الأريوسية التى أنكرت لاهوته فى القرن الرابع . وفى عبارة « الهى » شجب هرطقة أوطيخا الذى أنكر ناسوت المسيح فى القرن الخامس . . . فى الأولى تكلم كأبن الله ، وفى الثانية تكلم كأبن الانسان ، كنائب عن البشر . . .

ولم يتكلم على الصليب مع الآب فقط ، وإنما مع البشر أيضا . . . مع القديسين ممثلين فى السيدة العذراء وفى يوحنا الرسول . . . ومع الأشرار التائبين ممثلين فى اللص اليمين . . .

وكانت كلماته كلمات بركة ونعمة . . . لقد كانت ساعة للخلاص . وكانت تليق بها البركة . لذلك تكلم بكلام المغفرة والخلص والفردوس ، وبكلام الهبة والنعمة . . . وعلى الصليب لم يلعن أحدا ، ولم يعاقب أحدا ، على الرغم من كل الذى وقع عليه . . . انه لم يأت ليهلك العالم ، بل ليخلص العالم .

ونلاحظ فى كلماته على الصليب ترتيبا خاصا لا تخفى حكمته . . . غيره أولا ثم نفسه . ونفسه من أجل غيره . بدأ أولا بطلب المغفرة للناس ، لأنه على الصليب بدأت فاعلية دمه المقدس فى الغفران . . . واذا فتح باب المغفرة ، جاءت الكلمة الثانية الخاصة بفتح الفردوس . لأنه اذ يدفع الدم ثمنا للمغفرة يمكن فتح الفردوس . . .

نلاحظ أيضا أن السيد المسيح ذكر أعداءه أولا ثم أحبائه .
كلامه الأول خاص بصاليبيه ، ثم باللص ، ثم بالعدراء
ويوحنا . . .

وفي حديثه مع الله الآب ، كلمه أولا كأب ثم كاله . . .
أولا كالابن المحبوب الكائن في حضن الآب منذ الأزل
(يو ١ : ١٨) ، ثم كابن الانسان المولود في ملء الزمان . . .

**كلماته الثلاث الأولى كانت خاصة بالمغفرة والرعاية .
وكلماته الأربع الأخيرة كانت اعلانا لعمل الفداء واتمامه :**

فعبارة « الهى الهى لماذا تركتني » تعنى أن الآب قد
تركه ليدفع ثمن الفداء وتعنى آلامه النفسية من جهة تحمل
غضب الله على خطايا البشر . وعبارة « أنا عطشان » تعنى
اعلانا للآلام الجسدية من أجل البشر . وكلا العبارتين تعنيان
أنه يدفع الثمن . وعبارة « قد أكمل » طمأنة أن الثمن قد
دفع . وعبارة « فى يدك استودع روحى » تعنى الموت ثمن
الخطية ، وبه يكون قد تم الخلاص . . . اذن فهذه العبارات
الأربع الأخيرة تحمل طمأنينة للبشر من جهة فدائهم . . .

**نلاحظ أن الكلمتين الأخيرتين فيهما هتاف الفرحة
والانتصار . . .**

كما أعلن الرب ألمه الذى به تم الفداء . أعلن أيضا فرحه
باتمام الفداء . فعبارة « قد أكمل » تحمل معنى أن كل شيء
خاص بالفداء قد تم . لقد فرح الرب باتمام عمله ولم يسمح

لشيء أن يعوقه • ونفس الكلام نقوله عن عبارة « في يديك
استودع روحى » • بهاتين العبارتين أعلن هزيمة الشيطان •
لقد انتهت المعركة • واستطاع الرب بالموت أن يبيد سلطان
الموت ••• وهتف هتاف الفرح والانتصار •

**كل هذا يعطينا فكرة أن المسيح على الصليب ، كان
يعمل ، لأجلنا ••• ليس فقط عمل الفداء • وإنما كان على
الصليب - كعهده - يصنع خيرا •••**

كان معلما ، وكان يعلن اعلانات هامة لأجل الخلاص •••

فى كلمته الأولى أعطانا تعليما عمليا عن التسامح والمغفرة
ومحبة الأعداء ••• وفى كلمته الأخيرة « فى يديك استودع
روحى » ، اعطانا تعليما عن خلود النفس ، وانتقال الروح
البارة بعد الموت الى الله •

وفى كلمته الثالثة أعطانا تعليما عن الرعاية الحقة ، وعن
التنفيذ الصادق العملى للوصية الخامسة ••• باكرامه لأمه •

**ما أكثر التعاليم والتأملات التى نجدها فى هذه الكلمات
السبع ، التى يرمز عندها الى الكمال ••• فلننتقل الآن
اليها ••• وندخل الى أعماقها واحدة فواحدة**

الكلمة الأولى
يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ
لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤)

المسيح الهنا الحنون - وهو فى عمق الآلام على الصليب -
كان منشغلا بغيره لا بنفسه . لم يذكر آلامه ولا تعبته ولا
جراحاته . لم يأبه بآلام الشيطان على ظهره ، ولا بارتكاز
المسامير فى يديه وقدميه ، ولا بوخز الشوك فى جبينه ورأسه ،
ولا بجسده المرضض المنهك وانما ترك كل ذلك جانبا ،
وكان كل ما يشغله هو محبته للبشر وأول ما فكر ، فكر فى
انقاذ كارهيته وصالبيه وهكذا كانت أول كلمة قالها على
الصليب هى « يا أبته اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »
(لو ٢٣ : ٣٤)

وقد اهتم الرب بأعدائه أولا ، قبل أحبائه وقبل نفسه
. . . . فغفر أولا لصالبيه ثم غفر للصلب الذى عيره أولا وآمن
أخيرا . ثم أبدى اهتمامه بأمه . وبعد كل ذلك تكلم عن
نفسه

« يا أبته اغفر لهم » قالها وهو فى منتهى الألم
الجسمانى كان حقا فى عمق المقاساة من هؤلاء الذين

يطلب لهم الغفران ! ٠٠ ولكن محبته لهم ، كانت أكثر من
عداوتهم له ، عداوتهم التي لا توصف ، من عمق بشاعتها ٠٠٠

**ومع ذلك لم يطلب لهم الغفران فقط ، وإنما أيضا التمس
لهم عنرا ! ٠٠ هؤلاء الذين كانوا لا يجسرون أن يفكروا في
عذر لانفسهم ، والذين صاحوا في جرأة مخبولة « دمه علينا
وعلى أولادنا » (متى ٢٧ : ١٥) ، هؤلاء استطاع المصلوب
المجروح منهم أن يوجد لهم عذرا ، فقال « لأنهم لا يدرون
ماذا يفعلون » ٠٠٠ ما أعجب الرب في محبته : انه لم يصب
عليهم اللعنات ، ولم يطلب النقمة منهم . بل أيضا لم يصمت
ويأخذ منهم موقفا سلبيا ٠٠٠ وإنما كان حبه ايجابيا من
ناحيتهم ، فطلب لهم المغفرة ، وقدم عنهم عذرا ، مدافعا عنهم
أمام الآب السماوى ، معلنا أن خطيئتهم هي مجرد خطية
جهل ٠٠٠**

اننا نحن البشر نقول ان فعلتهم هي مجموعة من الخطايا
البشعة ٠٠٠ انها خطايا حسد وغيرة وكراهية ودس ووقية
من الرؤساء الدينيين ، وخطايا اندفاع ونكران جميل من
الشعب الجاحد ، وخطايا قسوة واستهزاء وشتائم واعتداء
واهانة من الجند وخدام الكهنة ، وخطايا جبن وظلم ولا مبالاة
من بيلاطس . وفوق كل ذلك هي خطية قتل ، وخطية تعذيب ،
وخطايا كذب وتلفيق في المحاكمة ٠٠٠ أما المصلوب الحنون
الطيب فلم يذكر سوى أنها خطية جهل ، « لأنهم لا يدرون

ماذا يفعلون « !.. ما أعجب طيبة قلبك أيها المحبوب المصلوب
ان أعماق هذه الطيبة هي فوق ادراكنا ..

ان السيد المسيح في غفرانه لصاليه ، قد قدم مثالا
عمليا لتنفيذ وصاياه .. لقد قال من قبل « أحبوا أعداءكم ،
.. أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون
اليكم » . وها هو ذا ينفذ بنفسه ما سبق أن أوصى به
الناس . أن الرب لا يعطى وصايا للآخرين ، ولا ينفذها
بنفسه . لقد نفذ هذه الوصية « محبة الأعداء » ، ونفذها
عمليا ، فى عمق وفى مثالية عجيبة .. فغفر لصاليه
ومضطهديه وللمسيئين اليه ..

وانت ايها الاخ المبارك ، ما هو موقفك من هذه الآية
« يا ابتاه اغفر لهم » ؟ .. يا ليتك عندما تسمع هذه العبارة
فى يوم الجمعة الكبيرة ، وعندما تتذكرها فى أى وقت ، تقول
فى صدق : « وأنا أيضا يارب ، سأفعل مثلك : كل الذين
أبغضونى وأغضبونى ، كل الذين أتعبونى واضطهدونى ، كل
الذين ضايقونى وأساءوا الى ، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا
يفعلون » .. وهكذا يا أخى تشترك مع المسيح فى عمله
وفى حبه ..

ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائه وانت
لم تغفر؟! ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحب أعداءه بينما

أنت لا تحب أعداءك ، ولا تسامحهم ؟! ماذا تستفيد ؟؟؟
اذن فأنت لم تشترك مع المسيح فى عمله ، ولم تملك فى صفاته . . .

اعلم اذن أن المسيح قد غفر لنا ، لكى نغفر نحن أيضا
لغيرنا ، ونتمتع ببركة المغفرة . . . التى تأتى الينا ، والتى
تصدر منا . . .

كلما نتذكر اسماءات الناس الينا ، فلنقل نحن أيضا من
أعماق أعماقنا « اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .
غير أننا عندما نقول هذا ، يختلف موقفنا عن موقف السيد
المسيح : انه يقول : **يا أبتاه اغفر لهم ، لأنى قد دفعت ثمن
خطيئتهم** . من أجل هذا لم يبق عليهم دين . أنا قد وفيت
العدل الالهى ، وسددت كل ديونهم ، فاغفر لهم اذن . هو ذا
أنا أموت عنهم . هو ذا أنا أموت عن الذين صلبونى ، وعن
الذى يحبوننى . . . وعندما أقول « اغفر لهم » لست أقصد
هؤلاء فقط ، وانما كل الذين يحتمون فى دمي . . . كل الخطاة
الذين تابوا من آدم الى آخر الدهور . . . اغفر لهم ، لأنى
لهذا جئت (يو ١٢ : ٢٧) . . .

واحد من هؤلاء الذين انطبقت عليهم عبارة « لا يدرون
ماذا يفعلون » ، هو القديس العظيم الأنبا لونجينوس الجندى
الذى طعن المسيح بالحربة . . . هذا القديس تعيد له الكنيسة

المقدسة فى يومين : فى اليوم الثالث والعشرين من شهر
أبيب ، وفى اليوم الخامس من شهر هاتور . . . انه طعن
المسيح بالحربة ، ولم يكن يدري ماذا يفعل ، فغفر الرب له .
ولم يكتف بهذا ، بل اقتاده اليه أيضا ، فأمن وبشر بالمسيحية
فى بلاد كبادوكية ، ونال اكليل الشهادة على يد طيباريوس
قيصر ، وأظهر الرب كرامته بمعجزات بعد موته . . .

**هناك قديس آخر تنطبق عليه عبارة « لا يدرون ماذا
يفعلون » ، كان وحشا ضاريا فى محاربة المسيحيين وفى
تعذيبهم وقتلهم . ان قلنا ان أكثر انسان اضطهد المسيحيين
هو الامبراطور ديوقلديانوس ، فان هذا كان الساعد الأيمن
لديوقلديانوس فى عملية التعذيب . . . كان جبارا مرعبا ،
ولم يوجد فى كل ولاية الامبراطورية الرومانية من هو أشد
منه وأعنف . . . كانوا يرسلون اليه كل من يتعب الولاية فى
تعذيبه من المسيحيين ، فيعامله بقسوة وبفنون جديدة فى
التعذيب لا تعرف للرحمة اسما ولا معنى . . .**

**هذا الرجل هو القديس اريانوس والى انصنا (*) ، الذى
سفك دماء عشرات الآلاف من المسيحيين ، بل قتلهم فى
وحشية ، وهو لا يدري ماذا يفعل . . . وظل هكذا لا يدري
حتى جذبه المسيح اليه ، فأمن به ، واستشهد على اسمه فى**

(*) هى حاليا قرية الشيخ عبادة مركز ملوى بمحافظة المنيا

اليوم الثامن من شهر برمهاث على يد الامبراطور ديوقلديانوس
وكتب اسمه فى السنكسار ، وأصبحت الكنيسة تحتفل بعيدة
مثل باقى القديسين العظماء

شاول الطرسوسى كان أيضا واحدا من الذين لا يدرون

ماذا يفعلون . . . كان يقتحم الكنائس ويقتاد رجالا ونساء
الى السجن (أع ٨ : ٣) . . . وقد اشترك فى اضطهاد
القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء
(أع ٧ : ٥٨) . . . وكان مرعبا ومخيفا . . . ومع ذلك لم
يكن يدري ماذا يفعل . . . وظل هكذا حتى ظهر له رب المجد
فى الطريق الى دمشق ، ووجده اناء مختارا . . . واجتذبه
اليه فأمن ، واعتمد ، وصار اسمه بولس الرسول ، وبشر
باسم المسيح ، وتعب أكثر من جميع الرسل ، ووقعت عليه
اضطهادات وأتعاب أكثر من جميعهم ، ونال اكليل الشهادة
على يد الامبراطور نيرون، وأصبح عمودا من أعمدة المسيحية،
ومنارة من مناراتها العالية المضيئة . . . ترى ماذا كان
سينتهى اليه مصير قديسنا بولس ، لولا قول المسيح الحنون
« يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » . . .

« يا أبتاه اغفر لهم » . أنا لا اريد أن أنتقم من أحد . . .
لا أريد أن أعامهم بالمثل . ان بعضا من هؤلاء الذين صلبونى
أنا ماض لأعد لهم مكانا . ومتى أعددت لهم مكانا ، آتى
وأخذهم الى ، حتى حيث أكون أنا يكونون هم أيضا
(يو ١٤ : ٣)

على أن قول السيد المسيح « يا أبتاه اغفر لهم » ، لا تعنى
انه غفر لجميع صالبيه على الاطلاق ، بلا استثناء... فلا يمكن
أن يتمتع بالمغفرة - من صالبيه وغير صالبيه ، الا من ينطبق
عليهم شرطان جوهريان ، هما الايمان والتوبة ... لأنه بدون
الايمان والتوبة ، لا يمكن أن ينال أحد خلاصا ولا مغفرة ...

• يا أبتاه اغفر لهم • اغفر للذين يؤمنون ويتوبون •

لقد قال الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه
الوحيد » ... أحب العالم كله ، وبذل الابن لأجل العالم
كله . ولكن هل تمتع العالم كله بالخلاص ؟ كلا ، فخلاص
المسيح لم ينله الا « كل من يؤمن به » ... لذلك قيل فى
باقى الآيه « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة
الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . هذا هو شرط الايمان ... أما
عن شرط التوبة فيقول عنه الرب « ان لم تتوبوا فجميعكم
كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) .

وهكذا فان عبارة « اغفر لهم » ، لا تعنى المغفرة ليهود

اليوم ... لأنهم ما يزالون باقين على يهوديتهم ، فى انكارهم
للمسيح ، وفى انكارهم لبتولية العذراء ، وفى اعتقادهم أن
يسوع الناصرى الذى ولد منذ ١٩٧٠ سنة كان ضالا
ومضلا ، فاستحق أن يصلبه آباؤهم . وبهذا يشتركون فى
خطية آباؤهم بموافقتهم لهم على ما فعلوه ... ويستحقون
الدينونة .

أما ان تابوا وآمنوا ، وصاروا مسيحيين ، فان الرب
يغفر لهم ، وعندئذ لا يدعون يهودا بعد . . .

ان السيد المسيح قد قدم خلاصاً للعالم كله . ولكن
لا يتمتع بهذا الخلاص سوى المؤمنون التائبين السائرين في
طرقه ، المتمتعين بعمل الروح القدس في أسراره .

**هؤلاء المؤمنون التائبون ، اغفر لهم يا أبتاه . . . أما
الباقون الذين أصروا على عنادهم ، فهؤلاء قال لهم المسيح
« حيث أكون أنا ، لا تقدر أنتم أن تأتوا » (يو ٧ : ٢٤) .
وقال لهم أيضا « ستطلبونني وتموتون في خطيتكم . . . ان
لم تؤمنوا اني أنا هو ، تموتون في خطاياكم » . ثلاث مرات
في الاصحاح الثامن من الانجيل لمعلمنا يوحنا الرسول يقول
لهم « ان لم تؤمنوا بي ، تموتون في خطاياكم » (يو ٨ : ٢١ ، ٢٤)**

أما الذين يرى فيهم بارقة أمل ، ولو من بعيد ، فهؤلاء
مهما أخطأوا اليه ، ومهما اضطهدوه ، ومهما طردوه ، فانه
يظل يردد في سمع الآب ، تلك العبارة الجميلة « يا أبتاه
اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .

**من بين هؤلاء الذين طردوه ورفضوا أن يدخل تخومهم ،
أهل السامرة . وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا ، وطلبوا اليه
أن يأمر فتنزل نار من السماء فتفنى هؤلاء الذين طردوه .
أما هو فأجاب تلميذه قائلا « لستما تعلمان من أي روح**

أنتما • لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (نو ٩ : ٥٢ - ٥٦) • هذا ما قاله لتلميذه • أما الآب • فلا شك أنه قال نفس العبارة « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ••• وهكذا صبر عليهم حتى عرفوه ، فأحبوه ، وآمنوا به (يو ٤ : ٤٢) •

ان عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » تحمل عمق الحب ، وعمق المغفرة • ولكي تسبر أعماقها ، تصورها بالنسبة الى نفسك •••

قد تستطيع أن تغفر لانسان أتعبك ••• أما أن يلفق انسان حولك تهما ، ويحكم عليك ظلما ، ويثير عليك الشعب والحكام ، ويهزأ بك ، ويجلدك ، ويعلقك على صليب ، ويدق المسامير فى يديك وقدميك ••• ثم بعد ذلك - وأنت فى عمق الألم - تستطيع أن تغفر له ، وتصلي لأجله ، وتدافع عنه ••• فهذا يحتاج الى حب فوق الطاقة ، وفوق العادة •••

كثيرون آمنوا بالمسيحية من أجل هذه العبارة وحدها •••

يا أبتاه اغفر لهم ••• لأنى من أجل هذا جئت ••• هذا هو العزاء الذى يفرح قلبى وسط كل آلام الصليب ، وكل آلام الهزء ، وكل آلام التخلى •••

انهم مغلوبون من خطاياهم ، مغلوبون من عمل ابليس فيهم ، ومغلوبون أيضا من ضعف ارادتهم ومن جهلهم

شعورى نحوهم هو شعور اشفاق ... لست أذكر ما يعملونه
فى ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، انما اذكر امامك حاجتهم
الى المغفرة ...

**اغفر لهم ، لأنك بهذا تفرحنى ، اذ أكون قد تممت
رسالتى وحققت هدفى ...**

حقا ، لماذا تجسد المسيح ؟ أليس من أجل أن الآب يغفر
لهؤلاء ؟ ... لماذا أخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان
(فى ٢ : ٧) ؟ أليس لكى يغفر لهم ؟ ... لماذا حمل خطايانا ؟
لماذا علق على خشبة ؟ كل هذا بلا شك لكى يغفر لهم ..

**ان هذه العبارة هي بداية عهد الغفران ، ليس الغفران
الموعود به ، وانما الغفران المدفوع ثمنه ... انها اعلان بأن
العدل الالهى قد استوفى حقه على الصليب ... انها صك ...
انها حق المشتري الذى دفع الثمن ويريد أن يستلم ... انه
اشترانا بدمه ، وبقي أن يأخذنا معه ، لكى ندخل الفردوس
معه ، ونتمتع بالملكوت معه ، وحيث يكون هو نكون نحن
أيضا ...**

وكأنه بهذه العبارة يقول للآب : ماذا تريد من هؤلاء ؟
ما هو دينك عليهم ؟ أليس هو الموت ، أجره الخطية ؟ هو ذا
أنا أموت عنهم • هو ذا أنا أوفى دينك عليهم • أطلقهم اذن من
حكم الموت • انك تأخذ الآن حقا بالتمام ... وبعد قليل
سأقول لك « قد أكمل » • فاغفر لهم ...

ان السيد المسيح بهذه العبارة يعلن انتصاره على الشيطان.

كل جهاد الشيطان كان فى ابعاد الناس عن الله ، وفى ابعادهم عن المغفرة ، وفى عرقلة طريق الخلاص . أما عبارة « اغفر لهم » فتعلن أن طريق الخلاص قد فتح للناس ، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرشده على الحيمة فيقدسها

لقد انتصرت محبته على كراهية الناس ، وانتصر تواضعه على كبرياء الشيطان

كانوا يقولون له ان كنت ابن الله انزل من على الصليب . أما هو فأعلن انه الابن بقوله « يا أبتاه » . ولكنه وهو الابن سيبقى على الصليب ، لكى يغفر لهم . ولو نزل من على الصليب ما استطاع أن يقول ، اغفر لهم الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدى عملها فى المغفرة

عبارة يا أبتاه اغفر لهم ، هى العبارة التى كان يشتمق

لسماعها كل الراقدين على رجاء من بدء الخليقة كلها .
ان كان هكذا قد أحب الرب صالحيه ومقاوميه وغفر لهم ، فكم تكون بالحري محبته لأحبائه ومريديه ، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافأته

انها عبارة أذهلت كل الجنود المحيطين بالصليب . وأذهلت أيضا اللص اليمين الذى توجه اليه الرب بكلمته الثانية « اليوم تكون معى فى الفردوس »

الطمة الثانية
الحق أقول لك
إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣)

أول انسان خاطبه الرب على الصليب ، كان هو هذا اللص . . . لم يبدأ حياته باراً ، بل صحبته الخطية حتى الى الصليب . وكان وهو مصلوب يعير الرب ، مشتركاً في ذلك مع اللص الآخر (متى ٢٧ : ٤٣) . . . ثم تغير فجأة ودخل الايمان بعنف الى قلبه ، فانقلب من معير الى مدافع . . . ومن مستهزىء الى رجل صلاة وايمان .

كيف وصل الى هذا الايمان ، والى هذا التجديد ؟
كيف آمن بالرب ، والرب فى آلامه لا فى مجده ، فى استهزاء الناس به وليس فى سعيه اليهم طلباً للشفاء والبركة ؟

لعل مغفرة الرب لصاليبه ، أثرت فى اللص القاسى القلب هذا التأثير العميق . واذا بلطف الله يغلب قسوته . . . أو لعله تأثر من وجه المسيح نفسه ، من ملامحه ، ومن نظرتة ،

ومن حنان وعمق صوته • لعل الرب نظر اليه ، فأذاب قلبه ••• لسنا ندرى •••

أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلي للتوبة كان أرضا صالحة لم تجد بعد من يفلحها ، وينقيها من أشواكها ، ويبذر فيها البذار الصالحة ، فتنبت نباتا حسنا •••

لقد استطاع هذا اللص أن يصل الى المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، أو فى الساعة الثانية عشرة • **فصلى صلاة ، واستجيب بأسرع ما تكون الاستجابة •••** كثيرون كانت لهم صلوات طويلة ، بابتهالات وطلبات وتضرعات وعرق ودموع ••• أما هذا اللص فبعبارة واحدة ، قصيرة ، مركزة ، عميقة ، استطاع أن يحصل على كل شيء ••• وأصبحت صلواته هذه مصدر تأملات لكثيرين ، ترددها الكنيسة كلها معه ، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب •••

هذا اللص هو الوحيد الذى أجابه المسيح بسرعة ، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة •••

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد على كثيرين طول مدة المحاكمة والتعذيب والصلب ••• « لم يفتح فاه ، كشاة تساق الى الذبح • وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧) ••• لم يرد على قيافا رئيس الكهنة الا بعد أن استحلفه بالله الحى (متى ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤) •

وبيلاطس الوالى الذى حاكمه كان متعجبا جدا من صمته
(متى ٢٧ : ١٤) . كثيرون استهزأوا به ، فلم يرد عليهم .
شتموه ، فلم يرد عليهم . تحدوه وقالوا له « ان كنت ابن الله
انزل من على الصليب » (متى ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم
كذلك . اللص اليسار نفسه المصلوب الى جواره كان يعيره
ويتحداه قائلا « ان كنت أنت المسيح ، فخلص نفسك وايانا »
(لو ٢٣ : ٣٩) . فلم يرد على هذا أيضا .

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له « اذكرنى يا رب متى
جئت فى ملكوتك » حتى تلقى الجواب بسرعة « الحق أقول لك
انك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٤٢ - ٤٣) .

**ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص ! كان زميلا على
الصليب ، وزميلا صالحا !!** وبلغت الصحبة مداها ، أن الرب
لم يكتف بصحبته له على الصليب ، وانما قرر أن تستمر
الصحبة أيضا فى الفردوس ! كان يستطيع أن يعده قائلا
« اليوم تكون فى الفردوس » . ولكنه قال له « تكون معى » .
يدخل فى معيته ، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضا . . .
ما أسعده لصا ! . . . لم يأنف الرب من هذا اللص ، ولم
يشمئز ، بل على العكس وجد فيه قلبا مملوءا بالفضائل .
فبادله الحديث على خشبة الصليب ، وفرح أن يسعد قلب هذا
اللص بوعد يطمئنه على مصيره قبل أن يلقي الموت . . .

ستكون معى فى الفردوس ، لأن قلبك صار معى على الأرض . لأنك سلمتنى على الصليب ، وسلمتنى مصيرك ولأنك تألمت معى ، فلذلك سوف تتمجد معى أيضا لقد صلبت معى ، وتألمت معى وستحيا معى أيضا

ما أعجب هذا اللقاء . . . على الصليب . . .

كثيرون التقوا مع الرب فى الكنائس والمعابد ، وآخرون التقوا به فى مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة . . . أما أن يكون مكان اللقاء على الصليب ، فهذا عجيب حقا . هل كان هذا اللص يفكر انه اذا تاب فى يوم ما ، والتقى بالرب يكون لقاءه به فى مثل هذا الموضع . . . !!!

حقا ان « ملكوت الله لا يأتى بمراقبة » (لو ٧١ : ٢٠) . .
لا نستطيع أن نعرف متى تعمل النعمة فى الانسان ، وكيف ، ومتى . . . حقا ان الروح يهب حيث يشاء (يو ٣ : ٨) . . .
لقد عاش هذا اللص حياته كلها فى الخطية ، ولصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله . . .
فهل معنى هذا أن النعمة كانت قد حجبت وجهها عنه
أو أن الرب قد نسيه الى الانقضاء . . . ؟! كلا ، فمراحم الرب كانت تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه . . . ثم جاء زمان
افتقاده ونال الخلاص ، وهو على بعد أشبار من الموت . . .

نحن لا نعرف من هم المختارون • من كان يظن أن هذا اللص سيصير واحدا منهم !! من كان يظن أنه في ساعة واحدة سينال ما ناله غيره بجهد عشرات السنوات؟! اننا نحكم حسب الظاهر ، ونحتقر البعض ، ونرثي للبعض ، وربما يكونون أفضل منا بمراحل ٠٠٠ ومع ذلك نقول في صدق ان هذا اللص ، قد دخل الفردوس عن جدارة واستحقاق •

لقد كان عجبيا ، وعجبيا جدا ، في كل ما فعله ٠٠٠

- اعترف بالمسيح ربا ، فقال له « اذكرني يارب »
- واعترف به ملكا ، فقال له « متى جئت في ملكوتك »
- واعترف به مخلصا ، قادرا أن ينقله الى الفردوس •

وعلى الصليب اعترف هذا اللص بخطايا الشخصيه ، واعترف باستحقاقه للموت • ووبخ زميله اللص الآخر قائلا له « أما نحن فبعدل (جوزينا) ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا » •

وانتهر زميله بسبب تجديفه على السيد المسيح قائلا له « أو لا تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ٠٠٠ وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله » (لو ٢٣ : ٤٠ - ٤١) • وهكذا اعترف بجزء المسيح وخلوه من الخطية ، وبالتالي لا يكون قد صلب بسبب خطية له ، وبالاستنتاج يكون صلبه عن خطية غيره ٠٠٠

عجيب هذا حقا ، أن يكون الوحيد الذى دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين !! لم يدافع عنه واحد من الاثنى عشر • لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين • لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين ••• لم يدافع عنه أحد ••• اجتاز المعصرة وحده • والوحيد الذى دافع عنه ، ولم يقبل كلمة اسداء توجه اليه ، هو اللص اليمين !! من كان يظن فى جميع التلاميذ وفى جميع المؤمنين ، أن الوحيد الذى يدافع عنه هو اللص !! حقا - كما قال الرب - « انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠) •

فلا تظن فى نفسك يا أخى أنك شئ ، أو أنك أفضل من أمثال هؤلاء ••• لا تظن فى نفسك أنك كأحد الرسل أو أحد الأحباء أو المريدين أو القريبين من الرب ••• فقد سكت كل هؤلاء ، لم يدافع واحد منهم عن المسيح ، والذى دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد ، ولم يكن يسمع به أحد •••

والجميل فى هذا اللص - غير دفاعه عن المسيح - أنه كان مشغولا بأبديته • كان مهتما بأعداد العدة لمصيره الأبدى • هو أيضا لم يكن يفكر فى آلامه الجسدية ، وإنما فى مصيره بعد الموت • لذلك صرخ فى استرحام وفنى استغفار « اذكرنى يارب » ••• اذكرنى فى مراحمك ، وليس فى خطاياى • أو كما قال داود النبى « اذكر يارب مراحمك ورأفاتك فانها ثابتة

منذ الأزل • خطايا شبابي وجهالاتي لا تذكر • كرحمتك
اذكرني أنت ، من أجل جودك يا رب « (مز ٢٥ : ٦ ، ٧) •
« اذكرني » ولا تدخلني في زمرة أولئك الذين قلت لهم
« اني لم أعرفكم قط » ••• اذكر هذا الجوار •••
انها ساعات خالدة في حياتي ، تلك التي قضيتها الى جوارك
على الصليب • انها أسعد ساعات حياتي ، أتمتع بشركة
آلامك ، وأفتخر بأني « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) •
فمن أجل هذا الجوار اذكرني • لقد كان صليبي الى جوارك عارا
لك ، ولكنه فخر أبدي لي • تكفيني هذه الساعات السعيدة
معك ، ولكنني أريد أن اعتبرها كمجرد عربون •••

ان عبارة « اذكرني » التي أقولها لك ، تعني وجود علاقة
سابقة • تعني أنني معروف عندك ، ومكتوب في سفرك ،
ومنقوش على كفك •

لقد أحصيت مع ائمة (أش ٥٣ : ١٢) ، وصلبت مع
الخطاة • وان حسب هذا عارا لك ، لكنه نعمة لي وبركة •••
ما الذ وجودي الى جوارك ، أنه ينسيني كل آلامي فلا أشعر
بها ••• بل أشعر بروحك تتخلل كياني كله ، وتطهرني
وتقدسني ، وتجعلني انسانا آخر ••• انك كشعاع الشمس
الذي قد يرقد الى جوار أي جسم قدر ، فلا يتسخ منه ، بل
بطهره •• أنا معتر بصحبتك ، ليتني عرفتك من قبل •• ،
فاذكرني •

ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلا «اذكرنى يا رب»

اذكر ان لك ابنا فى كورة بعيدة ، وعبدا ضالا خارج الحظيرة .
اذكرنى فى ضعفى ، وفى ذلى ، وفى سببى . اذكرنى فى
سقوطى لكى تقيمنى وترد نفسى اليك . اذكرنى لانى واحد
من الذين « ليس لهم أحد يذكرهم » . ليس لى انسان
يلقيني فى البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧) .

ان قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة ان ساعة الموت

تختلف من انسان الى آخر . لا نقل انه ذكر الرب وتاب اذ
كان لا بد أن يفعل هكذا فى ساعاته الأخيرة . كلا ، فاللص
الآخر كان مثله فى ساعاته الأخيرة . ومع ذلك يقول الكتاب
انه كان يجدف على المسيح ، وما كان يخاف الله ، وما كان
يهتم بمصيره الأبدى . وانما كان كل همه أن يتخلص من
الصليب (لو ٢٣ : ٣٩) ، ليعود فيتمتع بهذا العالم . . .
وهكذا استحق الانتهار من زميله . وفى ساعة الموت : بدلا
من أن يتوب عن خطايه ، كان يرتكب خطايا جديدة ، بقسوة
قلب !! . . . كان هذا اللص اليسار قريبا من المسيح بالجسد
الى جواره . أما قلبه فكان مبتعدا عنه بعيدا بما لا يقاس ،
حتى فى ساعة الموت !! ان ساعة الموت لم تستطع أن تذكره
بالتوبة ، ولا أن تدفعه الى الاستعداد . . . اطلاقا . . .

انه لم يتأثر بمغفرة المسيح لصالبيه : ولم تملكه الغيرة
من أجل الوعد الذى ناله زميله بدخول الفردوس . ولم

يؤمن اذ رأى السماء ، والأرض ماجت مرتعدة ، والصخور
تشققت ، والظلمة سادت على الكون . . . بل كان منشغلا
عن أبعديته ، حتى فى ساعة الموت . ما يزال يحب العالم
ومعاودة المعيشة فيه . . . لا يريد المسيح ولا صحبته ، وانما
يحب أن يستغله كوسيلة للنزول من على الصليب . . .

**انه درس قاس لكل من يؤجل التوبة ، وفى ظنه انه
سيتوب فى أواخر أيامه ، التى لا يعرف لها موعدا !!**
كثير من الناس يكونون فى ساعة الموت مثل اللص الذى على
الشمال ، يجدفون ويتدمرون ويشتهون العالم الحاضر !!
من كان عبدا لعادة من الصعب أن يبطلها بالتأجيل ، حتى
لو دقت يدها وقدماه بالمسامير ، وكان بينه وبين الموت
دقائق !! اذا لم يتعاون الانسان مع عمل النعمة فى قلبه ساعة
الموت ، فمن الممكن أن يخطئ فى تلك الساعة أيضا .

**كثيرون فى ساعة الموت يكون بدموع . . . ليس بكاء
على خطاياهم ، وانما لأن الموت سيحرمهم من ملاذ الحياة !!**
يكون لأن الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم . . .
ما يزال العالم حلوا فى قلوبهم ، حتى فى ساعة الموت . . .
لا تظنوا أن الموت - بالضرورة - يجلب للانسان خشوعا ! . . .
ليس لكل الناس . ان اللص اليمين استفاد من ساعة الموت،
واللص اليسار لم يستفد . . . وبينما كان اللص اليسار

يجدف ويعير ، كان زميله يصلى ، ويتضرع قائلا « اذكرنى
يارب متى جئت فى ملكوتك » .

والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب . ولم يتماهل عليه
وانما كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع . ان اللص
فى آخر ساعاته لم يفقد رجاءه فى مراحم الرب . والرب أيضا
قوى رجاءه وأكدته تأكيدا بقوله له « الحق أقول لك انك اليوم
تكون معى . . . » . انك الآن معى ، وبعد قليل ستكون معى .
ولكن شتان بين الحالىن . . . كما كنت معى فى الألم ستكون
معى « فى الفردوس » . أنت الآن تتعذب ، وهناك تتعزى . . .

وبقول الرب « فى الفردوس » انما صحح للص خطأ وقع
فيه . وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة . . .
لقد قال اللص « اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » وحسنا
آمن أن للمسيح ملكرتا روحيا فى السموات ، وأن مملكته
ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون . . . ولكن ملكوت
السموات لا يدخله الناس الا بعد القيامة العامة . أما بعد
الموت مباشرة ، فيذهبون الى مكان الانتظار . ومكان انتظار
الأبرار هو الفردوس . وهكذا لم يقل السيد للص « اليوم
تكون معى فى ملكوتى » ، وانما « فى الفردوس » . وبهذا بأشر
الرب وظيفته كمعلم صالح ، حتى على الصليب ، بنفس طريقته
الوديمة فى التعليم ، شارحا للمخطيء خطاه دون أن يقول له
انك أخطأت .

ستكون معى فى الفردوس ، كعربون . . . وستأتى معى
على السحاب فى مجيئى الثانى . وستقف على يمينى فى يوم
الدينونة ، كما أنت الآن عن يمينى على الصليب ، رمزا
للأبرار . . . وستملك أيضا معى فى ملكوتى . وتكون معى
فى الأبدية التى لا تنتهى . . . ها أنا معك كل الأيام وإلى
انقضاء الدهر . . .

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح ،
ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جدا . . . هنا نقول ما ألد
الموت ! « أين شوكتك يا موت » ! ان الموت مرعب للأشرار
لكنه مفرح للذين يرقدون على رجاء ، للذين نالوا المواعيد ،
ونظروا الأكاليل ، واطمأنوا الى مصيرهم بعد الموت ، ورن فى
آذانهم قول المسيح « اليوم تكون معى فى الفردوس » . . .

وبقوله « تكون معى فى الفردوس » ، لم يعلن للصوص غفران
خطيئته فحسب ، وانما أعلن أيضا فتح باب الفردوس لأول
مرة بعد خطيئة آدم . هذه الفردوس التى كانت مغلقة منذ
ذلك الزمان ، لا يستحق أحد دخولها بسبب الخطية . وهذه
العبارة التى قالها الرب للصوص ، نتذكرها كلما نودع نفوسنا
رحمت عن عالمنا . فنقول فى صلاة الجناز « افتح لها يا رب
باب الفردوس كما فتحته لذلك اللص » .

ان المغفرة التى نالها اللص هى عمل الهى ، وفتح باب
الفردوس هو عمل الهى أيضا . عملان قام بهما الرب على

الصليب يثبتان لاهوته . انه لم يصل لأجل اللص للمغفرة
وإدخول الفردوس ، وانما قال له بسطان « اليوم تكون
معى . . . » . وكأنه بهذا قد باشر عمله كديان عادل من حقه
أن يصدر حكما فى أبدية انسان ، فحكم للص بدخول
الفردوس فى نفس اليوم . من من البشر له سلطان أن يفعل
هذا؟! انه سلطان الهى لا يقدر عليه انسان . . . كذلك فتح
الفردوس : أمر لم يقو عليه أحد من قبل ، لا رئيس آباء ولا
نبيا . من استطاع أن يفتح باب الفردوس المغلق ، أو من
استطاع أن يدخله؟! لا أحد . كلهم انتظروا حتى يأتى
المخلص فيفتح لهم . انه عمل الهى . . . وهو أيضا اعلان عن
كفاية هذا الدم المسفوك عنا لفتح باب الفردوس . . .

حقا انه صاحب السلطان . « يفتح ولا أحد يغلق »

ويغلق ولا أحد يفتح » (رؤ ٣ : ٧) ، (اش ٢٢ : ٢٢) .
هو الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . بل
بيده مفاتيح السماء والأرض ، وبسلطانه يهبها لتلاميذه ،
وكلائه على الأرض . هو الذى فتح للعذارى الحكيمات . واليه
تضرعت الجاهلات قائلات « يا ربنا يا ربنا ، افتح لنا »
(متى ٢٥ : ١١) . ولكنه لا يفتح فردوسه ، الا للذين فتحوا
له قلوبهم ، كالص اليمين الذى استحق أن يقول له « اليوم
تكون معى فى الفردوس » . . .

وعبارة (اليوم) تكون معى ، دليل أكيد على عدم وجود

مظهر كما يظن البعض . فالنص دخل الفردوس فى نفس يوم وفاته ، دون أن يقضى فى هذا المسمى بالمظهر ساعة واحدة !!... كما أن عبارة (اليوم) تكون معى ، تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أن روح الميت تظل باقية تتردد على أماكن سكنها حتى اليوم الثالث الى أن تصلى الكنيسة صلاة فى اليوم الثالث لصرف تلك الروح !!... هل بقيت روح اللص اليمين الى اليوم الثالث ، أم فى نفس اليوم كانت فى الفردوس !!...؟

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الانسان بعد الموت،
وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للأبرار ، وكيف انهم سيكونون هناك مع المسيح يتمتعون به .

اليوم تكون (معى) . انها متعة جميلة أن تكون مع الرب
ان الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس ، أو هو أجمل ما فى الفردوس ، أو هو الفردوس ذاتها ، بل هو النعيم الحقيقى ، أن نوجد معه . هذا هو ما قاله الرب ، وما وعد به « ... أتى وأخذكم الى ، حتى حيث آكون أنا تكونون انتم أيضا » (يو ١٤ : ٣) . ما أجمل هذا الوعد . انه أملنا الذى تسعى اليه ، ونتشهاه ...

ان الحياة الروحية كلها هى « معية مع الرب » ...

بهذا الوعد ، أفرح الرب قلب اللص ، ولم تشغله آلام الصلب عن التحدث مع هذا الانسان وطمأنته واسعاده ...

نسى السيد الرب آلامه المبرحة ، نسي الشوك والمسامير وآثار
الجلد وجسده المنهك ، وشغل وقته بالأصغاء الى هذا اللص
والتحدث معه وطمأنة قلبه . . . حقا ان « المحبة لا تطلب
ما لنفسها » (اكو ١٣ : ٥) ، بل ما هو للآخرين (اكو ١٠ : ٢٤)
ما أكثر ما يأتى الينا انسان فى وقت تعبنا أو مشغوليتنا ،
فنتبرم به ، ونتضايق ، ونقول له « طيب يا أخى بّعدين ، أنا
مش فاضى لك دلوقتى ، استنى شوية » . أما السيد المسيح
فحتى على الصليب ، لم يقل مثل هذه العبارات . وانما على
الرغم من آلامه أعطى للص الاهتمام الذى يحتاج اليه ،
واستجاب طلبته ، وأسعد قلبه . وأرانا أنه حتى على
الصليب يمكن القيام بخدمة للآخرين . . .

**وفى الاهتمام باللص يظهر لنا الرب أهمية العمل الفردى
الى جوار العمل الجماعى . فبالإضافة الى عمل الفداء العظيم المقدم
للعالم أجمع ، لكل من يؤمن به ، وبالإضافة الى غفرانه
لصالبيه ، كان له أيضا عمل فردى مع اللص . لأن الفرد -
عند المسيح - لا يتوه وسط الجماعة . . . ماتزال له قيمته ،
وله اهتمامه . . .**

**وهكذا كان السيد المسيح فى كل كرازته على الأرض
يعمل فى الميدانين معا : العمل الجماعى ، والعمل الفردى :
العمل الجماعى وسط الجماهير الكثيرة ، وسط الجموع المزدحمة**

حواليه في عظته على الجبل ، ووسط الخمسة الآلاف الذين
اشبعهم بخمس خبزات وسمكتين . . . وله العمل الفردي
وسط الاثنى عشر ، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب
ويوحنا ، أو مع نيقوديموس ، أو في بيت مريم ومرثا ، أو مع
المرأة السامرية عند البئر . . .

ان الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة . لا يضيع فرد في
زحمة الناس . لا يضيع الحروف الضال في زحمة الاهتمام
بالتسعة والتسعين الباقين . . . لا يضيع اللص اليمين وسط
الاهتمام بخلاص العالم كله .



الطامة الثالثة هُوَذَا ابْنُكَ ... هُوَذَا أُمَّكَ (يو ١٩: ٢٦، ٢٧)

كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب . فكما اهتم بصالبيه ، وقال « يا أبتاه أغفر لهم » وكما اهتم باللص اليمين ووعده قائلا « اليوم تكون معي في الفردوس » ، اهتم أيضا بأمه ، وعهد برعايتها الى تلميذه الحبيب يوحنا .

عهد بالبتول الى تلميذه البتول ...

عهد بأمه التي حملته كثيرا على صدرها ، الى تلميذه الحبيب الذي أتكا كثيرا على صدره .

عهد بأمه التي وقفت الى جوار صليبه ، الى تلميذه الوحيد الذي تبعه حتى الصليب .

عهد بأمه التي حملت في داخلها جمر لاهوته ، الى تلميذه الذي كتب انجيلا فيما بعد يثبت فيه لاهوته .

قال لها « هذا هو ابنك » . وقال له « هذه هي أمك » .
ومن ذلك الحين أخذها التلميذ الى بيته (يو ١٩ : ٢٧) .

وبهذا أعطانا الرب مثالا عن الاهتمام بالاقرباء حسب
الجسد ، وبخاصة الأم . لقد اهتم بهذا المستودع الذي حمله
تسعة أشهر ، وبهذه الأم التي اهتمت به قبلا ، والتي عاش
خاضعا لها (لو ٢ : ٥١) .

• ان الشخص في آلامه يكون موضع اهتمام الناس به .
• اما المسيح في آلامه ، فكان هو المهتم بغيره . . .

• كم بالحري الآن وهو في راحته ، يهتم بنا بالاكثـر . . .

اهتمامه الاول وجهه الى غفران الخطايا ، وبعد ذلك اهتم
بالرعاية الاجتماعية . وكانت الأم هي اول من اهتم به في
هذه الرعاية .

لقد ظن البعض - عن سوء فهم - أن السيد الرب في
تركيزه على العلاقات الروحية ، قد ابطال الاهتمام بهذه
العلاقات العائلية في قوله « من هي أمي ، ومن هم أخوتي . . .
الذي يفعل مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي
وأمي » (متى ١٢ : ٤٨ - ٥٠) . ولكن هذا الفهم الخاطيء ألغاه
الرب على الصليب . . .

ان التكريس ، والتفرغ لخدمة الرب ، والانشغال بالأسرة
الكبيرة التي هي الكنيسة الجامعة ، كل ذلك لا يعنى اهمال
الانسان لأقربائه وخاصته ، ولا سيما أهل بيته . (اتي ٥ : ٨)
وكل ذلك لا يعنى الانسان من اكرام والديه أو من الاهتمام
بأمه .

وكانما كان هناك موعد بين السيد المسيح وامه القديسة

العذراء . كان وجهها الطاهر أول وجه يراه عند مجيئه الى هذا العالم بالجسد ، وكان آخر وجه يراه قبيل تسليمه الروح فى يدى الآب . . . انه قلب الأم المحب الذى يسعى وراء الابن أينما كان ، ويلزمه فى آلامه فى حب . . ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة « أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص . وأما أحشائي فتلتهب بالنار عند نظرى الى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى والهى » . . .

وهو أيضا قلب الابن الذى يهتم بأمه وهو فى عمق آلامه .

وهكذا وجد السيد المسيح من اللازم أن يعتنى بأمه فى آلامها ، ويقول لها كلمة تعزية بينما « يجوز فى نفسها سيف (لو ٢ : ٣٥) . . . وجد من المناسب له كابن أن يعزى أمه فى آلامها . وقد عزاها بثلاثة أمور : بالحديث معها ، وبالعناية بها وتدير أمورها ، وبمنحها ابنا روحيا يؤنس وحدتها . . .

وحديث الرب مع أمه على الصليب ، يختلف عن حديثه مع اللص اليمين . اللص هو الذى بدأ الكلام ، والرب رد عليه . أما مع القديسة مريم ، فالرب هو الذى بدأ الكلام . . . انها أمه . لا ينتظر حتى تكلمه فيرد عليها . ولا ينتظر حتى تشكو اليه فينظر فى شكواها . . . وهى لن تشكو . فقد تعودت العذراء أن تصمت . حتى الى جوار الصليب ، لم يقل أحد انها كانت تصرخ أو تندب ، انما كانت رصينة ورزينة فى ألمها ، وصامتة . وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه ، ويعرف

ذواحل قلبها ومشاعرها • فكلّمها دون أن تطلب • وأطاعت
كلامه ، وذهبت مع التلميذ الحبيب الى بيته •••

**وكانت العذراء بركة ليوحنا ، وبركة لبيته ، منحه المسيح
اياها ، مكافأة له على حبه •••** أخذها التلميذ كجوهرة ثمينة
أغلى من العالم كله ••• وظلت فى بيته وديعة غالية حتى
تنيحت ••• ويقال ان يوحنا الرسول لم يبرح أورشليم الا
بعد نياحة العذراء ••• ان كان يوحنا قد وصل فى حبه أنه
تبع المسيح الى الصليب ، وظل واقفا الى جواره ، فيجب أن
ينال مكافأة على ذلك ، هنا وفى الأبدية ••• أما هنا ، فقد
نال بركة العذراء واقامتها فى بيته ••• ان كل الذين يتبعون
المسيح ، لا بد أن يأخذوا منه شيئاً ••• لا بد أن يغترفوا من
بركاته ومن نعمه •••

**والعذراء أخذت يوحنا لها أبناً • أعطاه الرب أكثر تلاميذه
حبا وعاطفة ورقة وتعلقا واخلاصا •••** يوحنا الحبيب أكثر من
تكلم من الرسل عن المحبة ••• هو الذى قال ان « الله محبة »
(١ يو ٤ : ١٦) ، هو التلميذ الذى كان « يتكىء فى حضن
يسوع » وكان « يسوع يحبه » ••• انه أكثر انسان يقدم
للعذراء صورة ابنها •••

كان يبدو ان المسيح على الصليب لا يملك شيئاً • حتى
ملابسه ، أخذوها واقتسموا فيما بينهم • **ولكنه كان يملك
يوحنا ، فأعطاه لأمه •** يوحنا الذى وهب قلبه للمسيح ، فأخذ

المسيح هذا القلب ، ووهبه لأمه ... وهكذا جمع الرب محبيه
معا ... واهتم بأمه عاطفيا ، كما اهتم بها ماديا ...

ترى من الذى كان يهتم بالآخر : العذراء أم يوحنا ...
كانت العذراء فى بيت يوحنا ، لا لتأكل منه ، وانما لتملأه
بركة ونعمة ... ولكى تمنحه أيضا معرفة بالمسيح ، أعمق
من كل ما يعرفونه ، وأوسع ...

**نلاحظ أن كون المسيح يعهد بأمه الى تلميذه يوحنا ،
يحمل دلالة أكيدة على أن السيدة العذراء لم يكن لها أبناء
آخرون بعد المسيح كما يدعى البروتستانت . لأنه لو كان
لها أبناء ، لكانوا أولى برعايتها وبنوال بركتها من أى شخص
غريب ... لقد كانت العذراء وحيدة فى ذلك الوقت : ليس
لها أبناء ، ويوسف النجار قد تنيح منذ زمن . فعهد بها
المسيح الى تلميذه ...**

**وعبارة « هذا هو ابنك » تعطينا فكرة عن البنوة الروحية
كما توضح لنا كرامة العذراء بالنسبة الى آبائنا الرسل
أنفسهم ...**



الطامة الرابعة
إِلَهِي إِيْمَانِي إِذَا تَرَكْتَنِي (متى ٢٧: ٤٦)

هذه العبارة لا تعنى أن لاهوته قد ترك ناسوته ، ولا أن الآب قد ترك الابن . . . لا تعنى الانفصال ، وإنما تعنى أن الآب قد تركه للعذاب . . .

ان لاهوته لم يترك ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . . بهذا نؤمن ، وبهذا نصلى فى القديس الالهى . . ولو كان لاهوته قد انفصل عنه ، ما اعتبرت كفارته غير محدودة ، تعطى فداء غير محدود ، يكفى لغفران جميع الخطايا لجميع البشر فى جميع الأجيال . . . اذن فلم يحدث ترك بين لاهوته وناسوته .

ومن جهة علاقته بالآب ، فلم يتركه الآب ، « لأنه فى الآب ، والآب فيه » (يو ١٤ : ١١) .

اذن ما معنى عبارة « لماذا تركتنى » ؟

ليس معناها الانفصال ، وإنما معناها : تركتنى للعذاب .
تركتنى أتحمّل الغضب الالهى على الخطية . هذا من جهة النفس .

أما من جهة الجسد ، فقد تركتني أحس العذاب وأشعر به •
كان ممكنا ألا يشعر بألم ، بقوة اللاهوت ••• ولو حدث ذلك
لكانت عملية الصلب صورية ، ولم تتم الآلام فعلا ، وبالتالي
لم يدفع ثمن الخطية ، ولم يتم الفداء ••

**ولكن الآب ترك الابن يتألم ، والابن قبل هذا الترك
وتعذب به • وهو من أجل هذا جاء •• كان تركا باتفاق ••**
من أجل محبته للبشر ، ومن أجل وفاء العدل •• تركه يتألم
ويبذل ، ويدفع ، دون أن ينفصل عنه ••• لم يكن تركا
اقنوميا ، بل تركا تدبيريا •• تركه بحب ، « سر أن يسحقه
بالحزن » (أش ٥٣ : ١٠) •

مثال لتقريب المعنى :

لنفرض أن طفلا اصطحبه أبوه لاجراء عملية جراحية له ،
كفتح دمل مثلا أو خراج • وأمسكه أبوه بيديه ، وبدأ
الطبيب يعمل عمله ، والطفل يصرخ مستغيثا بأبيه « ليـه
سبتنى » • وهو فى الواقع لم يتركه ، بل هو ممسك به
بشدة ، ولكنه قد تركه للألم ، وتركه فى حب ••• هذا
نوع من الترك ، مع عدم الانفصال •• نقوله لمجرد تقريب
المعنى ، والقياس مع الفارق ••

**ان عبارة « تركتني » ، تعنى أن آلام الصلب ، كانت
آلاما حقيقية •• وآلام الغضب الالهى كانت مبرحة •• فى
هذا الترك تركت كل آلام الصليب ، وكل آلام الفداء ••**

هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة ، وكذبيحة اثم ، تشتعل فيه النار الالهية حتى تتحول الذبيحة الى رماد ، وتوفى عدل الله كاملا . .

**كثير من المفسرين يرون أن الرب بقوله «الهي الهي لماذا تركتني»
انما كان يذكر اليهود بالمزمور الثاني والعشرين الذي يبدأ
بهذه العبارة . . .**

كانوا « يضلون اذ لا يعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩)
بينما كانت هذه الكتب « هي التي تشهد له » (يوحنا ٥ : ٣٩)
فأحالهم السيد المسيح الى هذا المزمور بالذات . وكانوا
لا يعرفون المزامير بأرقامها الحالية ، وانما يسمون المزمور بأول
عبارة فيه ، كما يفعل الرهبان في أيامنا . . .

وماذا في هذا المزمور عنه ؟

فيه « ثقبوا يدي وقدمي ، واحصوا كل عظامي . . . وهم
ينظرون يتفرسون في . . . يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى قميصي
يقترعون » (ع ١٧ ، ١٨) . وواضح أن داود النبي الذي قال
هذا المزمور ، لم يثقب أحد يديه ولا قدميه . ولم يقسم الناس
ثيابه ، ولم يقترعوا على قميصه . . . انما هذا المزمور قد قيل
بروح النبوة على المسيح . . . وكان المسيح على الصليب يقول
لهم : اذهبوا واقروا مزمور « الهي الهي لماذا تركتني »
وانظروا ما قيل فيه عنى . . . ترون أنه قيل فيه عنى أيضا

« غار عند البشر ، ومحتقر الشعب • كل الذين يروثنى
يستتهزون بى • يفغرون الشفاه وينغصمون الرأس قائلين :
اتكل على الرب فلينبجه • لينقذه لأنه سر به » (ع ٦ - ٨) •••

ويعوزنا الوقت ان فحصنا كل المزمور ••• انه صورة
واضحة لآلام المسيح على الصليب • وجههم اليه • « وفتح
ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو ٢٤ : ٤٥) •

**كل نص المزمور بدأ يتحقق ، لذلك قال بعد حين « قد
أكمل » ••• ولكن لماذا لم يقل « قد أكمل » مباشرة بعد
« الهى الهى لماذا تركتنى » ؟ ؟ لأن هناك عبارة أخرى فى
المزمور لم تكمل بعد وهى عبارة « يبست مثل شقفة قوتى ،
ولصق لسانى بحنكى » (ع ١٥) • ان هذه أيضا ستتتحقق
بعد حين عندما يقول « أنا عطشان » • لذلك قال بعدها
« قد أكمل » •••**

ولكن لماذا قال المسيح « الهى ، الهى » ؟

لقد قالها بصفته نائبا عن البشرية • قالها لأنه « أخلى
ذاته ، وأخذ شكل العبد ، صائرا شبه الناس ، وقد وجد
فى الهيئة كإنسان » (فى ٢ : ٧ ، ٨) • قالها لأنه « وضع
نفسه » و « أطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فى ٢ : ٩)
انه يتكلم الآن كابن للإنسان ، أخذ طبيعة الإنسان ، وأخذ
موضعه ، ووقف نائبا عن الإنسان وبديلا أمام الله ، كابن

للبشر ، وضعت عليه كل خطايا البشر ، وهو الآن يدفع
ديونهم جميعا ...

هنا نرى البشرية كلها تتكلم على فمه ... واذ وضعت
عليه كل خطايا البشر ، والخطية انفصال عن الله ، وموضع
غضب الله ، لذلك تصرخ البشرية على فمه « الهى الهى ،
لماذا تركتني » ...

لقد ناب السيد المسيح عن البشرية فى أشياء كثيرة ،
ان لم يكن فى كل الأشياء ...

ناب عنا فى الصوم : لم يستطع آدم وحواء أن يصوما
عن الثمرة المحرمة ، وقطفا وأكلا، وبدأ السيد حياته بالصوم
حتى عن الطعام المحلل . لم يكن فى حاجة الى الصوم ،
ولكنه « صام عنا أربعين يوما وأربعين ليلة » كما تقول
تسابيح الكنيسة .

وناب عنا فى طاعة الناموس : « الرب من السماء أشرف
على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله . الجميع
زاعوا وفسدوا . ليس من يعمل صلاحا ، ليس ولا واحد »
(مز ١٤ : ٢ ، ٣) . وجاء المسيح ، فناب عن البشر فى
طاعة الآب ، ونفذ الناموس لكى « يكمل كل بر » (متى
٣ : ١٥) كما ذكر وقت العماد ... وهكذا ناب عن البشرية
فى تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب ...

وناب عنا أيضا فى الموت وفى العذاب وفى دفع ثمن الخطية

« والذى بلا خطية ، صار خطية لأجلنا » (٢ كو ٥ : ٢١) .
« واحتمل كل لعنة الناموس » . واحتمل كل غضب الله على
الخطاة بكل ما فيه من مرارة . وكنائب عن البشرية قال :
« الهى الهى لماذا تركتنى » . . .

وهذا الذى أعان الكل ولم يترك أحدا ، تركه الكل حتى

الآب . . . وبهذا دفع ثمن الخطية ، وتحمل الغضب ، وخرج
منتصرا ، بعد أن جاز معصرة الألم وحده ، نفسا وجسدا . . .
وفى هذا كله أعطانا درسا ، لكى نحترس نحن .

ان كانت الخطية تسبب كل هذا الترك ، وكل هذا

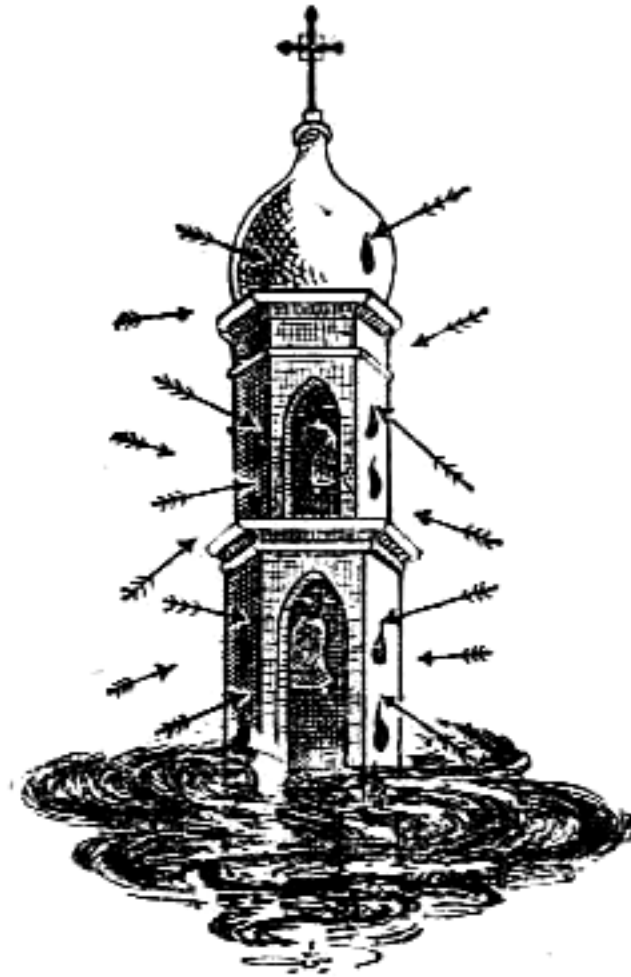
التغلى ، وكل هذا الألم ، فلنسلك نحن بتدقيق (أف ٥ : ١٥)
وانخف أن نترك الرب لئلا يتركنا . فان الابن نفسه قد
ترك . وألم الترك لا يطاق . وفى كل ذلك فلنشكر ربنا
يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا البذل . . .

ان عبارة « لماذا تركتنى » ، تعطينا الكثير من العزاء كلما

نقع فى الضيقات . . . ان كان الله الآب «لم يشفق على ابنه»
(رو ٨ : ٣٢) وسلمه لهذا العذاب والحزن ، فلماذا نتذمر
نحن على الآلام التى يسمح بها الآب ؟! ان كان الآب قد
سر أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب الذى قال عنه :
« هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٧)

ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشيء من كل آلام المسيح على
الرغم من استحقاقنا لكل ألم ، فلماذا اذن نتذمر على
الضيقات !؟

ان الابن شرب الكأس التى قدمها له الآب ، وقال له
« لتكن مشيئتك » . . . وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ،
بكل خضوع . أما عبارة « لماذا تركتني » ، فلم تكن نوعا
من الاحتجاج أو الشكوى - كما قلنا - انما كانت مجرد
تسجيل لآلامه ، واثبات حقيقتها ، واعلانا بأن عمل الفداء
سائر فى طريق التمام . . .



الظمة الخامسة

أَنَا عَطْشَانٌ (برومنا ١٩: ٢٨)

من أجل خطاياى - أيها الأخ - ومن أجل خطاياك ، جف حلق الرب على الصليب ، و «لصق لسانه بحنكه» و «يبست مثل شقفة قوته» (مز ٢٢ : ١٥) . . .

مياه جسده قد تصفت ونزفت ، وذلك لأسباب كثيرة :

بعضها لأجل العرق الكثير الذى سأل منه كقطرات دم، وهو يجاهد لأجلنا فى بستان جثسيمانى (لو ٢٢ : ٤٤) .
والعرق الذى سأل منه فى الطريق وهو يحمل الصليب ، وطوال المدة تحت أشعة الشمس المحرقة فى نصف النهار . . .
وبخاصة من أجل التعب والارهاق والانهاك الذى تعرض له فى كثرة المحاكمات وكثرة اللطمات .

يضاف الى كل هذا الدم الكثير الذى نزف منه ، بسبب الجلد المريع ، وبسبب اكليل الشوك ، وبسبب المسامير . . .
لكل ذلك جف حلقه ، واحتمل حتى لم تبق فى جسده قوة ، فقال « أنا عطشان » . . .

وبهذا أعلن أن الطرق أخذ سبيله الى الحديد المحمى بالنار ، أو أعلن أن النار بدأت قلتهم ذبيحة المحرقة . . .

أو أعلن أن العدل الالهي يتقاضى أجره ، وأن اللاهوت -
كعهده - لم يتدخل لتخفيف الألم عن الناسوت ، فكان ألما
كاملا ، تنسم منه الآب رائحة الرضا ، وعبر عنه الابن بعبارة
« أنا عطشان » . . . فليخز الآن أوطيخا الذي قلل من حقيقة
ناسوت الرب . فلو لم يكن ناسوته كاملا ، ما قال « أنا
عطشان » . . .

**عجيب أن يعطش الينبوع ، الذي يهب الماء الحى لجميع
العطش (يو ٧ : ٣٧) ، الذي قال للمرأة السامرية « من
يشرب من الماء الذي أعطيه أنا ، فلن يعطش الى الأبد . بل
الماء الذي أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية »
(يو ٤ : ١٤)**

ماذا كان يقصد بعبارة « أنا عطشان » ؟

لا شك أنه كان عطشانا فعلا من الناحية الجسدية . ومن
الناحية الروحية كان عطشانا أيضا لهذا الخلاص الذي يقدمه
للعالم ، كان عطشانا لعبارة « قد أكمل » التي سيقولها بعد
قليل . . . مثلما قال للمرأة السامرية « اعطينى لأشرب » .
ولم يكن يقصد هذا الماء المادى « الذي كل من يشرب منه
يعطش أيضا » (يو ٤ : ٧ ، ١٣) ، والذي لم يأخذه منها .
وانما كان عطشانا إليها هي والى أهل السامرة ، الى خلاصها
وخلصهم . . .

**ولم يقل « أنا عطشان » لكي يأخذ من الناس ماء .
كان يعرف أنهم سيقدمون له خلا ! (متى ٢٧ : ٣٤ ، ٤٨) .
كان يعرف ذلك بلاهوته الذى ينكشف أمامه الغيب**

والمستقبل • وكان يعرف ذلك من حيث معرفته بالنبوءة التي تقول « وفي عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩ : ٢١) •

لم يقل « أنا عطشان » ليطلب منهم ماء ، فالله لا يمكن أن يلتمس معونة من البشر • وأيضا لأنه كان عازما أن يشرب كأس الألم حتى التمام • لذلك اعتفى عندما قدموا له خلا ممزوجا بالمر ، كنوع من التخدير لتخفيف ألمه ، و« لم يرد أن يشرب » (متى ٢٧ : ٣٤) •

انما أراد الرب أن يتهم النبوات عنه ، وأن يعلن أن الثمن قد دفع ، لكي يطهّن البشر •••

أما البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها • فقدموا له خلا في عطشه ، لكي يزيدوا ألمه ألما •• أترانا نحن نفعل ذلك أيضا ، وكما يطلب الرب أن يرتوى بخلاصنا ، ويشرب من نتاج كرمته التي يسرى عصيرها في عروقنا ، أترانا نقدم له خلا بأفعالنا الرديئة وبأهونا وعبثنا واهمالنا !؟

يا أخى اخفض تلك القصبه التي ترفعها الى فم المسيح ، وابعد عن شفثيه تلك الاسفنجة المملوءة خلا ، واندم على جرحك لمشاعر من أحبك • واعمل اعمالا تليق بالتوبة •

واذا سمعت الرب يقول « أنا عطشان » ، فقل له : أنا يا رب الذى جففت حلقك بخطاياى • ليتنى أستطيع أن أرويك بدموعى • ليتك تضرب بعصاك هذه الصخرة الصلبة - التى هى قلبى - وتفجر منها ماء يرويك •••

الكلمة السادسة وَقَدْ أَكْمَلَ (يوحنا ١٩ : ٣٠)

المسيح الهنا البار ، الكامل فى كل شىء ، القدوس الذى بلا خطية وحده ، الذى عاش على الأرض حياة كاملة استطاع أن يرضى بها الله الأب ، هو أيضا كان كاملا فى كرازته وفى خدمته . استطاع أن يكمل رسالته التى اعطاه الآب أياها ، ويصيح صيحة النصر الأولى .

« العمل الذى اعطيتنى لأعمل ، قد أكملته » .

(يو ١٧ : ٤)

لقد استطاع أن يكمل كل بر . كمل بر الناموس كله ، وصاح أمام الناس « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . كما كمل أيضا جميع النبوءات الخاصة به والخاصة بعمل الفداء العظيم فى سنوات قليلة ، حوالى ثلاث سنوات وبضعة شهور ، استطاع أن يعمل أعمالا لم يعملها أحد من قبل ، واستطاع أن يكرز ببشارة الملكوت ويقول للآب « أنا مجدتك على الأرض . . . أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم . . . الكلام الذى أعطيتنى قد

أعطيتهم ٠٠٠ الذين أعطيتنى حفظتهم ، ولم يهلك منهم
أحد ٠٠٠ عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم « (يو ١٧) •

وهكذا أكمل النبوءات ، وأكمل الطاعة وأكمل كل بر ،
وأكمل عمله الكرازى ، وأكمل الحب إذ أحب خاصته الذين فى
العالم ، أحبهم حتى المنتهى « (يو ١٣ : ١) • ثم صعد على
الصليب ليكمل عمل البذل ، ويكمل الفداء والكفارة
والخلاص ٠٠٠ ويكمل عمل المصالحة الذى به يصلح السمائيين
مع الأرضيين ٠٠٠

وفوق هذا المذبح ، وضع الله عليه اثم جميعنا ٠٠٠
وضع الله عليه جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع
الأجيال ، من آدم الى آخر الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة
ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف ٠٠٠ بكل ما فيها من زنا
وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء ٠٠٠ حتى صاح
الابن قائلاً « قد أكمل » ٠٠٠ ونحن نضع أيدينا على هذه
الذبيحة الطاهرة ، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة ، نضيفها
الى آلامه لكى يمحوها بدمه الكريم ٠٠٠

وكما كملت الخطايا على كتفيه ، كمل أيضا العار الواقع
عليه ٠٠٠ وهكذا قال فى ذلك « بذلت ظهري للضاربين ،
وخدى للنااتفين • وجهى لم استره عن خذى البصاق «
(أش ٥٠ : ٦) • وقال أيضا « كل الذين يروننى يسهزون
بى • عار عند البشر ومحتقر الشعب « (مز ٢٢ : ٧ ، ٦) •

فى كل هذا تعرض للضرب والاهانة والجلد والاستهزاء ، وكل
صنرف التحقير والتهكم ، وكلمات التجديف والتعير وكانوا
يلطمونه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك « (متى ٢٦ :
٦٧ ، ٦٨) !! والبسوه الثوب الأرجوانى وأكليل الشوك ،
وطافوا به وسط صيحات التحقير ، وأحصوه مع أئمة ،
وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول الكتاب « ملعون كل من
علق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) (تث ٢١ : ٢٣) . . .
وهكذا « صار لعنة لأجلنا » . وفوق الخشبة أيضا اشبعوه
اهانات وسباً ، حتى لينظر الى كل هذا العار ويقول : قد
أكمل . . .

**وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد ، وكمل الغضب
الواقع عليه . . . دفع الثمن كله ، وقدم نفسه فدية ، وظلت
النار تشتعل فى ذبيحة المحرقة حتى حولتها الى رماد (لا : ١٠) .
ولما رأى السيد الرب أنه قد أكمل عمل الكفارة والفداء ،
وأنه أعطى العدل الالهى كل ما يطلب ولم يعد له شىء بعد ،
صاح فى نصره قائلاً « قد أكمل » . . .**

**قد أكمل عمل الخلاص للجميع ، وتم الفداء ، واستطاع
نسل المرأة أن يسحق رأس الحية . . . استطاع الله وقد
« ملك على خشبة » (مز ٩٦ : ١٠) أن يدمر مملكة الشيطان .
الآن أصبحت الكفارة كاملة كافية لكل . الآن ينشق حجاب
الهيكل ، ويفتح الطريق أمام قدس الأقداس . . . لقد كمل**

الصلح ، وكمال الرجاء أمام القديسين الراقدين • ولم يبق
الا أن يقوم الرب كجبار ، يتقلد سيفه على فخذه ، ويستله
وينجح ويملك (مز ٤٥ : ٣) • لذلك صاح الرب فى فرح
« قد أكمل » •••

• ان عبارة « قد اكمل » هي هتاف الفرحة والانتصار •
هتف به الرب الذى صارع وملك • واستطاع أن يشترينا
بثمن ، ويؤسس ملكوته الروحى ، ويحطم مملكة الشيطان
الذى كان يدعى من قبل « رئيس هذا العالم » •
(يو ١٤ : ٣٠)

هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب ؟ هل تستطيع
أن تصعد على الصليب ، وتسحق رأس الحية ؟ هل تستطيع
ان تنظر الى عمالك الذى أعطاك الرب اياه وتقول « قد أكمل » •
ليتك تضع أمامك كل حين هذا الشعار الجميل « العمل الذى
أعطيتنى لأعمل قد أكملته » •••

• ضع أمامك باستمرار صورة الرب الذى أكمل عمله •



الظمة السابعة

يَا أَبْتَاهُ فِي يَدَيْكَ اسْتَوْدِعْ رُوحِي (لوقا: ٢٣: ٤٦)

- لقد أكمل الرب عمله على الصليب
- كما أكمل عمله الذي كان له قبل الصليب

وبقى له عمل آخر ليعمله بعد أن يسلم الروح على

الصليب • بقى أن « يسبى سببيا ، ويعطى الناس عطايا »
(أف ٤ : ٨) • بقى أن ينزل الى الجحيم ويبشر الراقدين على
الرجاء • وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم الى
الفردوس ، فاتحا أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية
الأولى ...

لذلك اذ أتم الفداء ، لم يعد هناك داع للتأخير • عليه

اذن أن يخرج من هذا الجسم ليكمل عمل الخلاص الخاص
بالراقدين أيضا . فليسلم الروح اذن في يدي الآب حتى يمكنه
أن يعمل الأعمال التي موعده عملها بعد الموت . وهكذا صرخ
بصوت عظيم « يا أبته في يديك استودع روحى » ...

فى يديك أنت استودعها ، وليس فى يدي غيرك ••

«رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له فى شىء» (يوحنا : ١٤ : ٣٠)
أنا من عند الآب خرجت ، وأتيت الى العالم ، وأيضا أترك
العالم وأرجع الى الآب » (يوحنا : ١٦ : ٢٨) •

كم أشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس،
أن يقبض عليها كسائر الأرواح التي فى السجن . ولكنه لن
يقدر على هذه النفس بالذات التي سيستقبلها الآب فى يديه .
نفسى هذه لا يستطيع أحد أن يأخذها منى . لى سلطان أن
أضعها ، ولى سلطان أن آخذها أيضا (يو ١٠ : ١٧ ، ١٨) .

**ان روح لعازر المسكين - عندما خرجت من جسده -
حملتها الملائكة (لو ١٦ : ٢٢) . وروح العذراء حملها
المسيح . أما روح المسيح فيحملها الله الآب .**

يقول معلمنا متى الرسول ان المسيح « صرخ بصوت
عظيم » (متى ٢٧ : ٥٠) وأسلم الروح . فماذا نفهم من عبارة
« صرخ بصوت عظيم » .

لاشك أنه من الناحية الجسدية كان فى منتهى الانهاك
والارهاق . بعد كل تعب فى حمل الصليب حتى وقع تحته ،
وبعد تعب الجلد واللطم والصلب ، وبعد أن سال مافى جسده
من دم وماء ، وبعد أن جف حلقه حتى قال « أنا عطشان » .
كيف يصرخ بصوت عظيم وقد لصق لسانه بحنكة ؟!

**ان صراخه فى ساعة الموت « بصوت عظيم » دليل على
أن له قوة أخرى فوق قوة الناسوت ، أى دليل على لاهوته .
صراخه بصوت عظيم دليل على انتصاره ، لأنه بالموت
داس الموت وقهره . هذه الصرخة زعزعت الشيطان وقهرته .
حقا كان فى موت المسيح نصره ، نصره الفادى الذى استطاع
أن يخلص العالم كله ، ويسحق رأس الحية . . .**

وفى عبارة « فى يدك استودع روحى » طمأنة عظيمة لنا
من جهة خلود الروح • انها لا تنتهى بالموت ••• الموت
بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال ، من حياة الى حياة •
انما المهم فى الموضوع كله هو : أين تستقر الروح بعد
موتها • ان اطمأن الانسان على هذه النقطة ، استقبل الموت
بفرح ، وقال : لى اشتها أن أنطلق ••

وأنت أيها الأخ : هل أنت مطمئن على مصير روحك ؟

هل عندما تلفظها – بعد عمر طويل – ستودعها فى يدى
المسيح ، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر ؟ أم سيقبض
عليها الشيطان ويقول « انها لى • كانت من جندى ، تعيش
فى طاعتى ••• لذلك سأخذها لتكون معى » ! يا للهول !!
اطمئن يا أخى اذن أين ستذهب روحك •

وضع أمامك باستمرار تلك الأغنية الجميلة « لثمت نفسى
موت الأبرار ، ولتكن آخرتى كآخرتهم » (عدد ٢٣ : ١٠) •
استودعها فى يديه من الآن بالبعد عن كل دنس ،
وبالالتصاق كل حين بالرب • كن كملائكة الكنائس السبع
الذين كان الرب ممسكا بهم فى يده اليمنى • ضع نفسك
أنت أيضا فى يدى المسيح • وتأكد أنه سيسمعك صوته
الجميل وهو يغنى « أنا اعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك الى
الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدى » • (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩)

وكلما تحاربك الخطية بفكر أو شهوة ، اسأل نفسك فى
صراحة : هل روحى الآن فى يدى الآب •••

فاعلية هذه الكلمات

هذه الكلمات الغالية التي قالها المسيح على الصليب ،
فلنضعها نحن في قلوبنا ، ولتكن ذات فاعلية في حياتنا . .
لنقرأ كل كلمة منها في امعان ، ونتفاعل معها . . . وسنضرب
الآن مثالا لتفاعل القلب مع كلمتين منها :

■ يا أبتاه اغفر لهم . . .

لقد علمنا الرب أن نقول في الصلاة الربية « اغفر لنا
خطايانا ، كما تغفر نحن أيضا لمن أخطأ اليانا » . فاصبحت
عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » شرطا لازما للمغفرة ، لك أنت .
فلا يظن أحد منكم أنه يمنح المغفرة لغيره عندما يقول « يا أبتاه
اغفر لهم » . **في الواقع أنه يأخذ المغفرة لنفسه . لأن شرط**
الغفران الذي تأخذه أنت ، هو أن تغفر لغيرك . « اغفروا
بغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

ان السيد المسيح عندما علمنا الصلاة الربية ، لم يعلق
على أية طلبية منها سوى هذه الطلبية الواحدة ، وهكذا قال
« فانه ان غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضا أبوكم
السماوى . وان لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم
أيضا زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك فان لم تغفر أنت للآخرين ، انما تمنع المغفرة عن نفسك ، وليس عن الآخرين . فان قلت « يا أبتاه اغفر لهم » ، يرد عليك قائلا « وأنا أيضا اغفر لك » . اذن فمغفرتك للناس أمر أنت مضطر اليه ، لكن تذاق المغفرة أنت أيضا
فالأفضل اذن أن تغفر من أجل المحبة - كما فعل المسيح - بدلا من أن تغفر اضطرارا من أجل أن يغفر لك

من الجائز أن هذه المغفرة تتعبك من الداخل ، ولا تكون سهلة على قلبك كيف أغفر لمن فعل بى كذا وكذا ، وأهاننى وأتعبنى وألصق نفسى بالتراب؟! أقول لك : احتمل أنت فى الواقع فيما تعطى لهذا الانسان المغفرة، انما تعطىها أيضا لنفسك . فاغفر ، لكى يغفر الرب لك . وأقول مرة أخرى : ليتك تغفر عن حب ، وليس عن اضطرار .

السيد المسيح على الصليب تقدم لياخذ مغفرة من الآب عن كل خطايا البشر ، فغفر لصالبه أولا . وكأنه يقول للآب « سأغفر لهم كل ما فعلوه بى ، لكى تغفر أنت لى » ليس لكى يغفر له خطاياهم ، فالمسيح بلا خطية (يو ٨ : ٤٦) . ولكن يغفر له الخطايا التى يحملها ، لأنه « حمل الله الذى يحمل خطايا العالم كله » (يو ١ : ٢٩) ، اذ قد « وضع عليه اثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) .

قد تقول : كيف أغفر كل ما فعلوه بى يكفى اننى صامت لا أورد الشر بالشر لا يا أخى . ان هذا الصمت

لا يكفي . يجب أن تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر .
وعندما تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر ، تكون قد
صعدت على الصليب . وعندما تصعد على الصليب ، تستطيع
أن تقول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) .
لقد دخلت فى شركة آلامه ، صعدت معه على الصليب
وغفرت للمسيئين لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون .

■ اليوم تكون معى فى الفردوس :

قل لنفسك : لكى اسمع هذا الوعد من المسيح ، ينبغى
أن أقول كما قال اللص « نحن بعدل جوزينا » . . . ان اللص
اليمن لم يعتف من الآلام التى وقعت عليه ، انما طلب مغفرة
فى الأبدية . فكن مثله ، ولا تكن مثل اللص الذى على الشمال
الذى طلب أن ينزل المسيح من على الصليب وينزله معه
« يخلص نفسه وايانا » . . .

مسكين هذا الجاهل ، ان فى نزول المسيح عن الصليب
هلاك للعالم أجمع . لو كان هذا اللص يسعى لخلاص نفسه ،
لقال : انتظر يا رب قليلا على الصليب ، من أجلى ، لكى
لا أهلك . . . أرجوك يا رب ، احتمل من أجلى ، احتمل حتى
الموت لتدفع ثمن خطاياى . . .

**كن ياخى روحانيا كاللص اليمين الذى فكر فى أبلدته ،
ولا تكن جسديا كاللص الشمال الذى فكر فى خلاص جسده
فقط . .**

ولا تهرب من الضيقات التى تقع عليك ، بل فى كل
ضيقة قل عبارة اللص التائب « نحن بعدل جوزينا » ..
وكما تطلب من الرب أن يذكرك فى ملكوته ، اذكره أنت
أيضا على الأرض ، والصق قلبك بمحبته ..
ولا تطلب أن يذكرك الرب فقط على الأرض بل فى
ملكوته . ان كان فى الأرض مسامير أو صليب ، لا يهم ..
المهم هو مصيرك فى الملكوت . حسن أن نقضى حياتنا الأرضية
هنا على الصليب . انما المهم أن نكون مع الرب فى
غردوسه ...
لا تفكر أن تنزل من على صليبك ، بل احتمل وأصبر

حَيَاتَنَا التَّوْبِيَّةَ وَالنَّقَاوَةَ

بدأ طبع هذا الكتاب ، وستنتهى المطبعة منه قريبا ان
شاء الله . كتاب من القطع الكبير . اطلبه من أصدقاء الكلية

رقم الايداع بدار الكتب رقم ٢٥٣٩ لسنة ١٩٧٠

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

امام صورة المسيح المصلوب
وقف المهاتما غاندى زعيم الهند الروحي

وبكى ...

ان كلام المسيح هي اعظم ما يؤثر في النفس
فيها الحب في عمقه ، وفي علوه
وفيها البذل

وفيها الصفاء ، العجيب ، والمغفرة

وفيها وفاء العدل الالهي

من اجل هذا استبقى الرب آثار جروحه
لتبقى مجال تأمل في حبه ، الى ابد الدهر
ليتنا نعيش فيها ، وتعيش فينا
ونسبح ما كل طياشة ، وكل حب للعالم

(١٠)

التمن ٥ قروش



مطبعة دار العالم العربي